دليل إلى

القصّة الصحفية الإنسانيّة

محمد أحداد
هشام بوعلي

معهد
الجزيرة للإعلام

دليل إلى

القصّة الصحفية الإنسانيّة

دليل إلى

القصّة الصحفية الإنسانيّة

محمد أحـــداد

هشام بوعلي

دليل إلى

القصّة الصحفية الإنسانيّة

إعداد

محمّد أحداد

هشام بوعلي

تحرير

محمّد زيدان

تدقيق لغوي

أحمد تحسين

إبراهيم منصور

تصميم

أحمد فتّاح

جميع الحقوق محفوظة

معهد الجزيرة للإعلام 2025

جدول المحتويات

تقديم 8

المحور الأول: مدخل إلى القصة الصحفية الإنسانية 11
- تعريف القصة الصحفية الإنسانية 12
- القصة الصحفية الإنسانية أم "الفيتشر"؟ 18
- كيف نشأ تقليد القصة الصحفية الإنسانية؟ 21
- لماذا نعنى بالقصة الصحفية الإنسانية؟ 31

المحور الثاني: ملامح القصة الصحفية الإنسانية 41
- محددات القصة الصحفية الإنسانية 42
- سمات القصة الصحفية الإنسانية 46

المحور الثالث: كيف أنتج قصة صحفية إنسانية؟ 51
- البحث عن القصة وتحديد الفكرة 52
- إستراتيجيات البحث عن القصص الإنسانية 54
- الإعداد القبلي والاستعداد للميدان 65
- النزول إلى الميدان 73
- إنتاج القصة الصحفية الإنسانية 86

المحور الرابع: أخلاقيات القصة الصحفية الإنسانية 101

ملحق: القصة الصحفية الإنسانية في زمن الإبادة الجماعية 109

تقديم

تصطحب الزميلة نجوان سمري مراسلةُ قناة الجزيرة في فلسطين عائلةً فلسطينية مهجّرة زمن النكبة إلى بيتها القديم الذي بات يسكن فيه محتلون. تسرد العائلة المنبعثة من "رماد النكبة" قصّتها مع الأماكن والأودية والأشجار، ثم يظهر فجأة محتل المنزل، فتسأله الصحفية: كيف تشعرون وأنتم تسكنون في منزل مبنيّ على حطام منزل الفلسطيني المهجَّر؟ ترد المحتلة: بصراحة لا نشعر بأي شيء.

انتشرت القصّة على وسائل التواصل الاجتماعي، وأدرك الجيل الجديد الذي لم يعش النكبة أن المأساة القديمة ممتدة في الحاضر، وذلك عبر سرد إنساني موجز يكثّف قصة فردية تحيل إلى محنة جماعية. هذا هو جوهر القصّة الصحفية الإنسانيّة.

في زمن التدفق الهائل للمعلومات والبيانات وتطور وسائل الفتك الإنساني، تحولت أخبار القتل والإبادة الجماعية إلى قصص مكررة مألوفة مجردة من التعاطف الإنساني. لكن كيف تحافظ الصحافة على قيمتها الجوهرية في المساءلة والمراقبة وملاحقة الجناة دون أن يشعر المتابع بالتكرار والإعياء الشعوري؟

أظهرت الكثير من الدراسات الصحفية والنفسية أن تشخيص قصص الضحايا تساهم في إحداث التأثير والتعاطف، وقد تحدث أثراً أكبرَ من الأثر الذي تتركه الأرقام والبيانات، والرهان اليوم على القصّة الصحفية الإنسانيّة

لتحكي صوت ضحايا الحروب والنزاعات والفقر والاستبداد، بسرد مبتكر بعيد عن اللغة التقريرية الجافة.

نتعرف في هذا الدليل على البدايات الأولى لاستخدام القصّة الصحفية الإنسانيّة، وأهميتها وأدوارها وطرق تحضيرها، ومعايير هذه القصص الأخلاقية والمهنية. كما نفرد مساحة للنقاش حول سرد القصّة الإنسانيّة في الحالة الفلسطينية التي تفرض نفسها اليوم قضية أساسية تهم الإنسانيّة.

معهد الجزيرة للإعلام

المحور الأول:

مدخل إلى القصّة الصحفية الإنسانيّة

1- تعريف القصّة الصحفية الإنسانيّة

قد تبدو الإجابة عن سؤال: ما هي القصص الإنسانيّة الصحفية؟ سهلةً؛ إذ يمكن القول ببساطة إنها قصص تحكي عن الإنسان. وهذا صحيح إلى حدّ ما، لكنّه غير كاف؛ إذ هل تصلح كل قصّة عن إنسان أن تكون مادّة صحفية صالحة للنشر في إحدى وسائل الإعلام؟ الإجابة عن هذا السؤال قطعاً لا، والعلة تكمن في تحقّق الجزء الثالث من تسميتها بـ "صحفية"؛ أي أنها تتضمن معلومات ومعطيات موثّقة بحسب ما تمليه المهنة الصحفيّة ومعاييرها. فليس في كل قصّة محور إنساني ذو قيمة صحفية تستند إلى تفاصيل دقيقة ومعلومات قابلة للتحقق، فيها دلالات قد تكون أوسع من التجربة الفردية. من هذا المنطلق يمكن اعتبار القصّة الإنسانيّة "قصة وراء القصّة"، لا تكتفي بتسجيل الحدث وفق المعالجة التقليدية التي تُستخدم في بناء التقرير الخبري، بل يسعى الصحفي فيها إلى إبراز الجانب الإنساني داخلها، ورصد تأثّر شخصيات القصّة أو تأثيرها في الحدث، والإضاءة على الأبعاد الاجتماعية والنفسية والسياسية التي تمنح القارئ فهمًا أعمق وأقرب للحياة.

قد تحضر القصّة الإنسانيّة في مختلف الأجناس الصحفية، حيث يمكن أن تعرض كفكرة استقصائية كما في تحقيق (فاغنر: التحقيق حول قتلة بوتين)[1]،

أو كفيلم وثائقي كما في وثائقي[2] قناة الجزيرة الوثائقية "الهروب" الذي عرض قصص هروب أسرى فلسطينيين من سجون الاحتلال الإسرائيلي، أو تقرير صحفي مطوّل يعتمد على معايشة المصادر مثل مادة "راح البيت": قصص منكوبي الجوفة، التي تحكي قصّة سكّان أحد الأحياء الفقيرة شرق مدينة عمّان ومعاناتهم مع البيوت التي انهارت أو أخليت خشية الانهيار[3].

وفق هذه الرؤية تصبح القصص الإنسانيّة نوعاً من القصص الصحفية التي تقدّم قصة شخص أو مجموعة أشخاص، من خلال إبراز تجاربهم الحياتية العامة أو الخاصة، الإيجابية والسلبية، ضمن معالجة صحفية تستفيد من تقنيات الكتابة الأدبية وأدوات القصّة والسرد، مع الحفاظ على المعايير المهنية والدقّة التي تميّز العمل الصحفي.

وتسعى عبر التركيز على المكون الإنساني - بصفته أبرز عنصر فيها - إلى نقل تجربة ومشاعر الشخصية أو الشخصيات الرئيسية في علاقتها بحدث أو قضية؛ لتحقيق استجابات عاطفية ومعرفية لدى المتلقي، وإضاءة جوانب خفية أو مهمشة من السياق.

بهذا المعنى، تتجاوز القصّة الصحفية الإنسانيّة المفهوم التقليدي الخبري المباشر في رواية القصص إلى اعتماد السرد الصحفي الذي يجمع بين جمالية اللغة ودقة المعلومات؛ من أجل تحقيق الأثر المرجوّ، وتقديم سردية متماسكة تولّد التعاطف من دون تفريط بالوقائع ولا سقوط في فخّ الإثارة.

---

[1] تحقيق تلفزيوني بثته قناة إم 6 الفرنسية بعنوان: Enquete exclusive - Wagner: enquete sur les tueurs de Poutine

[2] قناة الجزيرة، الهروب (وثائقي)، يوتيوب، 10 يونيو/حزيران، 2023: تاريخ الدخول: 14 ديسمبر/كانون أول، 2025 https://www.youtube.com/watch?v=BGZvF6175lc

[3] لينا شنك، "راح البيت: قصص منكوبي الجوفة"، مجلة حبر، 6 فبراير/شباط 2017 (تاريخ الدخول: 14 ديسمبر/كانون أول 2025) https://www.7iber.com/stories-of-displaced-families-in-jabal-al-jofeh

مرجعيات نظرية لتعريف القصّة الصحفية الإنسانيّة

تتعدد التعريفات الأكاديمية للقصة الصحفية الإنسانيّة في الأدبيات الإعلامية، إلا أنها تكاد تلتقي جميعًا حول فكرة مركزيّة ترى أنّ الإنسان وتجربته هو جوهر السرد الصحفي فيها، وأن التجربة الفردية وتفاصيلها وسياقها الأوسع منطلق لا يمكن تجاوزه لفهم الحدث وتفسيره صحفيًا.

ففي موسوعة الإعلام والاتصال - التي أعدها أستاذ السيميائيات والأنثروبولوجيا اللغوية في جامعة تورنتو بكندا: مارسيل دانيسي (Marcel Danesi) - تُعرّف القصص الإنسانيّة بوصفها: "التقارير التي تهتم بالإنسان، والتي يتم إنجازها لتلامس القرّاء عاطفيا، التي تركز على تجارب ومحن الأشخاص العاديين الذين وقعوا في مواقف استثنائية"[4].

أما قاموس أكسفورد[5] المرجعي فيذهب في الاتجاه ذاته، معرّفا القصص الإنسانيّة بأنها: المواد الإعلامية التي تركز بشكل أساسي على الأفراد وتفاصيل تجاربهم الشخصية، بدلا من التركيز على القيمة الإخبارية للقصة ذاتها، مشيرا إلى أن هذه القصص عادة ما تنطوي على عنصر عاطفي. كما أن "مركز صحافة المجتمع"[6] التابع لجامعة كارديف بالمملكة المتحدة، يرى أنه "في قلب كل قصة إنسانيّة، أناس يشاركون قصصهم المتميزة بطريقة عاطفية ومثيرة للاهتمام". ويضيف أنّ القصص الإنسانيّة، تتطرق "لحالات وتجارب أشخاص استطاعوا تجاوز مراحل صعبة أو مخيبة للآمال من حياتهم، أو

---

[4] Marcel Danesi, Encyclopedia of Media and Communication, University of Toronto Press, 2013.

[5] Oxford Reference, Human Interest Story, Accessed: 14 Dec, 2025. https://www.oxfordreference.com/display/10.1093/oi/authority.20110803095949857

[6] Emma Meesa, ICNN, “Writing Human Interest Stories: A Guide”, Oct 20, 2016 (Accessd: Dec 14, 2025) https://www.communityjournalism.co.uk/resources/writing-human-interest-stories-a-guide/

حققوا إنجازات استثنائية أو أعمالَ شَجاعة، أو قصص لأبطال مجهولين، ويمكن أن تكون كذلك قصصاً طريفة أو غرائبية أو توعوية أو قصصاً عن إنجازات، وهي كلها تتشارك في التركيز دائماً على الإنسان وتجاربه".

أما الباحثة وعالمة الاجتماع الكندية هيلين هيوز، صاحبة كتاب "الأخبار والقصّة الإنسانيّة"[7] فقد عرّفت القصص الإنسانيّة بأنها:" قصص حقيقية عن المصادفات الشخصية تُروى بالتفاصيل المستفيضة المميزة للثرثرة"، وتعتبرها نوعاً من "الأدب الموجه للعامة".

وبحسب هيوز، تركّز هذه القصص على تجارب الأفراد العاديين، وتسعى إلى تحفيز جوانب التسلية وإثارة المشاعر، محدّدة قيمتها في "قدرتها على جذب جمهور واسع من القرّاء، كما تؤكد أن القصّة الإنسانيّة النموذجية تتضمن فرداً أو مجموعة غير معروفين سابقاً يواجهون ظروفاً استثنائية تثير اهتمام القراء وتعاطفهم".[8]

تصنّف القصص الإنسانيّة ضمن ما يسمى بالأخبار "الخفيفة"[9] (Soft news) التي تقع ضمن الخط الفاصل بين وظيفتي الإخبار والترفيه؛ حيث يكون الهدف منها التسلية والترويح، وإشباع بعض الاحتياجات النفسية والعاطفية للقارئ. إلا أن السياق العربي الموسوم بانتشار الحروب والنزاعات يعطي مفهومَ القصّة الإنسانيّة بعدا آخر؛ إذ تصبح هذه القصص وسيلة فعالة لإبراز جوانب الحياة اليومية للناس العاديين، وتسليط الضوء على أوجه معاناتهم وصمودهم في مواجهة تحديات الحياة ومصاعبها.

---

[7] صدر كتاب هيلين هيوز عام 1940، وهو أول كتاب يعنى بتتبع تاريخ الصحافة الإنسانيّة في الصحافة الأمريكية والكندية، وصدر بعنوان: News and the Human Interest Story

[8] Christopher H. Sterling, éd, Encyclopedia of Journalism (Thousand Oaks, Calif: SAGE Reference, 2009). p730

[9] Mills-Brown, Lisa, soft news, Encyclopedia Britannica, 28 Feb. 2014, https://www.britannica.com/topic/soft-news. Accessed 18 July 2022.

ويأتي في مقابل ذلك الأخبارُ الصلبة أو الجامدة (Hard news)؛ وهي التي تهتم بالحوادث التي تمسّ الشأن العام والحياة السياسية المحلية أو الدولية، وتتسم عادةً بعناصر السرعة والآنية والتركيز على الحقائق الأساسية. أما القصص الإنسانيّة فميزتها هي قدرتها على الاشتغال على مثل هذه الأخبار بزوايا معالجة مختلفة وغير معتادة، من خلال الانتباه إلى مختلف جوانب الموضوع أو تسليط الضوء على جانب فريد منه.

ففي حين يركّز الخبر على تقديم إحصاءات عن عدد الضحايا في نزاع ما، فإن القصّة الإنسانيّة ستهتم برصد قصص أولئك الضحايا المتأثرين بشكل مباشر أو غير مباشر بها، وتقديم تجاربهم الشخصية وحكاياهم التي تغفل عنها القصص الصحفية التقليدية. فالقصّة الإنسانيّة تخلق تواصلا أعمق مع الجمهور، وتكمّل التغطية الخبرية بإضافة أبعاد جديدة عليها.

من الأمثلة على ذلك تحقيق استقصائي حول استخدام الأسلحة التقليدية في المناطق المعروفة بزراعة الحشيش (القنب الهندي)[10] لحسم صراعات حصص المياه في المغرب. ففي تلك القصّة، لم يكتف الصحفي بتشخيص المشكلة التي سبق أن أثارتها وسائل إعلام أخرى، بل تعمّق في فهم تأثيراتها الظاهرة على حياة الناس من خلال إجراء مقابلات مع العائلات؛ لسرد أشكال معاناتهم: كيف يتهددهم العطش، وكيف فقدوا أحبّاءهم في هذا الصراع الذي تُستخدم فيه أسلحة تقليدية غير خاضعة لمراقبة الدولة، وعن بوار زراعتهم بسبب سيطرة مافيات كبيرة للاتّجار الدولي بالمخدرات على حصص المياه الشحيحة.

في هذا السياق، تجب الإشارة إلى أن القصص ذات الاهتمام الإنساني، رغم أنها تُستعمل بكثرة ضمن ما يسمى الصحافةَ الإنسانيّة أو "الإعلام الإنساني" من

---

[10] محمد أحداد، صحيفة المساء المغربية "فوضى السلاح.. هكذا أصبحت منطقة الشمال تحت رحمة الأسلحة السائبة"، 23 نوفمبر/تشرين الثاني 2013، تاريخ الدخول: 14 ديسمبر/كانون أول 2025 https://tinyurl.com/5xh3a62n

طرف المواقع الإخبارية التابعة لمجموعة من المنظّمات الدولية مثل اليونيسف ومفوضية اللاجئين، إلا أن استعمالها أوسع وأشمل وليس مقتصراً على أخبار الحروب والكوارث الإنسانيّة.

من جهة أخرى، فإنّ القصص الإنسانيّة لا تقتصر على نقل حكايات أشخاص "ناجحين" أو أصحاب إنجازات، بل يمكن أن تُعنى بنقل قصص أشخاص عاديين عاشوا تجارب استثنائية، أو كانوا شهوداً عليها، أو كانوا جزءًا من قصة خبرية أكبر. بالإضافة إلى ذلك فهي لا ترتبط بعنصري الآنيّة أو الراهنيّة، كما هو الشأن بالنسبة للتغطية الخبرية العادية؛ إذ يمكن أن تعود إلى الماضي، مستلهِمة من الأحداث أو الشخصيات التاريخية تفاصيل قصص إنسانيّة بعمق إنساني، يسمح بإعادة قراءتها على نحو مختلف.

هناك أيضا بعض الأحكام الجاهزة والمنمّطة التي تربط القصّة الإنسانيّة بمواضيع مثل الإعاقة أو ظروف الحياة القاسية، أو غيرها من المواضيع، بهدف استثارة العواطف الإنسانيّة لدى المتلقي دون أي قيمة خبرية أو حق إنسانيّة حقيقية. فعلى سبيل المثال، قد تُقدّم قصص لأشخاص في وضعية إعاقة إما على أنها "ملهمة" وأصحابها أبطال استثنائيون، أو على أنها "مأساوية" وأصحابها مجرد ضحايا يستدرون التعاطف، وذلك من دون أن تلامس تلك القصص بعمق تجاربهم الحقيقية أو تحدياتهم اليومية التي يواجهونها باستمرار. وعلى الرغم من أنّ هذا النوع من المعالجة السطحيّة قد يثير عواطف القارئ أو المشاهد، فإنها لا تقدم صورة كاملة أو دقيقة عن حياة هؤلاء الأفراد، وقد لا تفيد القضية التي يترافعون من أجلها، أو الواقع الذي يحاربون من أجل تحسينه، بل يمكن أن ترسخ نوعا من التمييز أو ترسيخ الأحكام المسبقة والصور النمطية حول هذه الفئات الهشة، بدلًا من الدفع نحو تحسين واقعهم أو إبراز قضاياهم ونظرتهم إلى العالم من حولهم. أما

القصّة الصحفية الإنسانيّة الجيدة بشأن موضوع مماثل فتتجاوز هذا التناول السطحي؛ فتستكشف التعقيدات والتحديات التي يواجهها الأشخاص ذوو الإعاقة، وتأثيرها عليهم أو كيفية مواجهتهم لها أو كيف ينجحون في التغلب عليها أو التأقلم معها.

وهكذا، لا تتوقف القصص الإنسانيّة عند استثارة عواطف متلقيها فقط، بل تحمل قيمة خبرية ذات معنى في حياتهم، وتقدم رؤى فريدة مهمّة وملهمة حول القضايا والأحداث، وتساعد في إضفاء الطابع الإنساني على المواضيع المعقّدة، كما تشجع على التعاطف الإيجابي والفهم الأفضل والأكثر إنصافًا لمعاناة أبطالها أو مسرّاتهم، وإنجازاتهم أو خيباتهم، متجاوزة الأحكام الجاهزة والتصورات النمطية، نحو تقديم نظرة عميقة وصادقة عن هذه التجربة الإنسانيّة أو تلك.

2- القصّة الصحفية الإنسانيّة أم "الفيتشر"؟

يستخدم مصطلح "القصّة الصحفية الإنسانيّة" بشكل متزايد في الوسط الصحفي العربي لوصف ما يعرف في الصحافة الغربية عادة باسم "قصة الفيتشر" (Feature Story)، التي تشكّل في الصحافة الغربية عمومًا نوعًا صحفيًا مستقلا وله تقاليد وسمات مستقرة. أما في "الصحافة العربية" فالحديث عادة يكون عن القصّة الصحفية فقط، دون تمييز في كثير من الأحيان بين ما هو تقريري، وما هو إنساني الطابع أو قصصيّ سردي أو استقصائي.

وقد اختار عدد من الصحفيين والباحثين في السياق العربي استخدام مصطلح "القصّة الصحفية الإنسانيّة" بديلًا عن التسمية الأجنبية الشائعة "الفيتشر"

التي اكتسبت معنى القصّة الصحفية العادية عربيًا، وذلك لاعتبارات لغوية ومهنية وسياقية، خاصة مع تزايد الاهتمام بالقصّة الإنسانيّة وصحافة البروفايل المعمقة.[11]

فالصحافة العربية عانت لفترات طويلة من هيمنة المقال السياسي والافتتاحيّات وأعمدة الرأي وكان ذلك على حساب القصص الصحفية الأصيلة، ولا سيما القصص الإنسانيّة، وذلك لأسباب بنيويّة عديدة تتعلق ببيئة العمل الصحفيّ عربيًا. وبحسب نوها ميلر أستاذة الصحافة والدراسات الثقافية في جامعة "إيست لندن" البريطانية، فإن غياب هذا النوع من القصص وضعف الاعتراف به عربيًا يعود إلى عدّة أسباب؛ من بينها طغيان الاهتمام بالسياسة، لا سيما المسائل السياسية الكبرى والحروب والنزاعات، وما يعنيه ذلك من الانشغال بالتغطيات الخبرية والتقارير التقليدية.[12]

إضافة إلى ذلك، فإن اختيار مصطلح "القصّة الصحفية الإنسانيّة" يهدف إلى التأكيد على مضمون المادة الصحفية المطلوبة لا على شكلها فقط؛ ففي حين يحيل "الفيتشر" في الأدبيات الغربية إلى نمط من الكتابة الصحفية يتميز بالأسلوب القصصي والبناء الأدبي، فإن مصطلح "القصّة الإنسانيّة" يجعل من الإنسان مركزًا للسرد الصحفي، من دون تحويل الأسلوب إلى غاية في ذاته. كما يعكس هذا التحول الاصطلاحي سيرورة تكيّف المفاهيم الصحفية مع السياقات والاحتياجات المحلية؛ فصحافة القصّة الإنسانيّة لها ارتباط أوثق بالمجتمعات العربية التي تعيش تحولات اقتصادية واجتماعية وسياسية،

---

[11] أسماء قنديل، «الفيتشر»... فن التعبير عن الحدث بجذوره التاريخية: خرج من رحم الكتابة الأدبية إلى عصر الرقمنة، جريدة الشرق الأوسط (النسخة الإلكترونية)، 2019/06/23. https://tinyurl.com/n2kbms3z

[12] Noha Mellor, IEMed, Misrepresenting the Other, IEMed, Accessed: Dec 14, 2025. https://www.iemed.org/publication/misrepresenting-the-other/

وتحتاج إلى قوالب صحفية مبتكرة تقرّب القارئ من الواقع المعيش بدل استمرار الاقتصار على المعالجة الإخبارية الجافّة، وتغليب صوت المؤسسات والسلطة على صوت البشر وحكاياتهم.

ما هو الفيتشر؟

"الفيتشر" هو نوع من المقالات الصحفيّة التي تتناول الأحداث والقضايا بشكل أعمق وأشمل ووفق قوالب أكثر مرونة مقارنة بالأخبار العادية؛ فهو يتيح للصحفي مساحة أوسع للإبداع وتنوعا أكبر في طريقة معالجة الموضوع/الخبر؛ إذ لا يقتصر على تغطية الأحداث الجارية فقط، بل يمكنه تناول أي قضية من زوايا مختلفة وتقديمها للقارئ من منظور جديد وفريد.

ويرتكز الفيتشر على عنصرَي السرد والوصف، ولا تستدعي كتابته الالتزام بقالب "الهرم المقلوب" الذي ينتقل من المعلومات الأهم إلى الأقل أهمية كما في الخبر. ويعتمد على تنوع المصادر والزوايا لتقديم صورة شاملة ومتعددة الأبعاد للموضوع المعالج للقرّاء.

ومن خلال سرد غني بالتفاصيل وتحليل شامل لمختلف زوايا الموضوع، يُفترض في "الفيتشر" أن يتجاوز مجرد نقل الخبر أو الآراء المختلفة، نحو استكشاف القضايا بطريقة مبتكرة بما يثري معارف القارئ ويمنحه فهما أعمق للموضوع المعالج وجوانبه المختلفة أو الغامضة، وتقديمها بأسلوب سردي جذّاب وبصياغة لغوية تجمع بين الوصف الدقيق والتحليل[13].

[13] Publisher Drive, What is Feature, Accessed: Dec 14, 2025 https://publishdrive.com/glossary-what-feature.html

وشهدت "صحافة الفيتشر"، تطورًا ملحوظًا، خصوصًا بعد أن أصبحت الصحف الإلكترونية أكثر انتشارًا، وأصبحت تمتلك شرعية منافسة الصحف المطبوعة؛ ففي غمار هذا التنافس اعتمدت الصحف الإلكترونية على ابتكار وسائط رقمية متنوعة من خلال استعمال الفيتشر وتعزيزهِ بصور وفيديوهات وبيانات أخرى. ومنذ عام 2010، ساهم البودكاست والقوالب الرقميّة المخصّصة للصحافة المطوّلة في زيادة شعبيّة الصحافة الاستقصائيّة".

3- كيف نشأ تقليد القصة الصحفية الإنسانية؟

أ) في الولايات المتحدة الأمريكيّة

يرى أستاذ الصحافة الأمريكيّ ميتشل ستيفنس (Mitchell Stephens)، أن القوالب الجديدة في الصحافة مثل الفيتشر لا تنفصل عن كون الصحف في المجتمعات الليبرالية الغربية قد أصبحت ذات تأثير في صوغ السياسات العامة ولم تعُد مجرد أداة لنشر الأخبار فقط."[14] هذا التحول قد واكبه أيضا ظهور صحافة تهتم بملاحقة قضايا الفساد السياسي، مثل صحافة "الموكراكرز" (Muckrakers)، أو "المكراكر" أي الصحفيونَ المناضلون في الولايات المتحدة الأمريكية، الذين اعتمدت تحقيقاتهم الصحفية على "التمحيص في الوثائق، وإجراء مقابلات لا حصر لها. وهذا يختلف عن الصحافة الصفراء؛ حيث كانت بعض الصحف الرائدة تفرط في تضخيم القصص باستخدام الخيال بدلاً من الحقائق."[15]

---

[14] Mitchell Stephenes, Beyond News: the future of journalism, Columbia University Press, 2014, p 4.

[15] Investigative Journalists: The Muckrakers (18901920-) , https://www.journalisminaction.org/case/ida-tarbell-muckraker

من بين رواد هذه الصحافة: إدا ترابال (Ida Traball)، وأبتون سنكلير (Upton Sinclair)، وجاكوب ريس (Jacob Riis)، وهذا الأخير وُلد في الدنمارك عام 1849 وهاجر إلى الولايات المتحدة عام 1870 ثم أصبح مراسلا ميدانيًا في قسم الحوادث، وبكاميرته بدأ في توثيق الظروف القاسية لحياة سكان الأحياء الفقيرة في مدينة نيويورك، أسّست تقنياته الرائدة في الصحافة الاستقصائيّة والتصوير الصحفيّ أرضيّة للإصلاح الاجتماعي، ودعمت الجهود التي كانت قائمة بالفعل. من أهمّ ذلك ما نشرهُ حول تاريخ شركة "ستاندرد أويل"؛ حيث كشفت أعماله الاستقصائيّة عن الأساليب والتلاعبات التجاريّة التي تنهجها هذه الشركة." لقد مثّلت أعمال ريس وزملائه في تلك الفترة الإرهاصات الحقيقيّة الأولى لـ "الفيتشر الاستقصائيّ".

معَ تزايد الاهتمام بصحافة "الفيتشر" خلال النصف الثاني من القرن العشرين ظهرت أساليب جديدة ومبتكرة تستلهم أدوات وتقنيات أدبيّة وتوظّفها في المضامين الصحفية. وأصبحت مجلات مثل "ذا نيويوركر" و"رولينج ستون" منصّات رائدة لهذا النوع الذي يجمعُ بين العمق في التحليل والرشاقة في الوصف، مقدمة بذلك سردًا صحفيًا إنسانيًا يشبع المعرفة والعاطفة معًا.

يعد **توم وولف** أحد أبرز روّاد مدرسة "الصحافة الجديدة" في ستينات القرن العشرين في الولايات المتحدة، وقد اشتهر بأسلوبه السرديّ الأدبيّ الذي يمزج بين التحقيق الصحفي والأدب.

وقد كانَ من أبرز رواد هذه الموجة السردية في الصحافة الأمريكية الصحفي والكاتب توم وولف (Tom Wolf) الذي مثّل كتابه (The Kandy-Kolored Tangerine-Flake Streamline Baby") [16]، نموذجًا لهذا التحول. فقد رصد وولف في كتابه مظاهر التحول الاجتماعي والثقافي في أمريكا ما بعد الحرب العالمية الثانية، من خلال معاينة ظاهرة تعديل السيارات وزخرفتها لدى الشباب في كاليفورنيا، ومحاولة فهم نزعة الفردانية الجديدة كما تجلّت في الهوس بالمظهر الخارجي والتميّز الجمالي. بالنسبة إلى وولف، تحوّلت السيارات إلى رموز تعبيريّة عن الذات تعكس ميولًا ثقافية نحو الاستعراض، والتحرر من النمطيّة، والانخراط في ثقافة الاستهلاك في حقبة ما بعد الحرب.

ومعَ ظهور الإنترنت وتعدّد الوسائط الرقميّة، تطوّرت صحافة "الفيتشر" إلى قصص تفاعليّة مبتكرة، وكان من أبرز الأمثلة عليها مشروع "تساقط الثلوج" (Snow Fall) الذي نشرته صحيفة نيويورك تايمز، الذي يجمع بين النص والفيديو والرسوم المتحركة[17]. وقد حازت تلك القصّة على جائزة البوليتزر العريقة عام 2012، وتعدّ من بين المشاريع الصحفية التي "غيّرت شكل الصحافة" في العصر الرقمي[18] . لكن هنالك العديد من الأمثلة الأخرى على هذه القصص الإنسانيّة الرقمية التفاعلية التي أثارت الكثير من النقاش والجدل في الصحافة العالمية، نذكر منها:

- **"الرحلة السورية: كيف تختار طريق هروبك؟"** (Syrian Journey: Choose Your Own Escape Route)، وهي قصة إنسانيّة نشرتها

[16] Tom Wolf, The Kandy-Kolored Tangerine-Flake Streamline Baby, Quality Paper Book Club, pp76107-

[17] John Branch, Snow Fall: The Avalanche a Tunnel Greek, 2012, (Accessed; Dec 14. 2025) https://www.nytimes.com/projects/2012/snow-fall/index.html#/?part=tunnel-creek

[18] David Uberti, Snow Fall at 10: How It Changed Journalism, The Newyork Times, Dec 23, 2022 (Accessed Dec 14, 2025)
https://www.nytimes.com/202223/12//insider/snow-fall-at-10-how-it-changed-journalism.html

البي بي سي عام 2015، وتتخذ شكلَ "لعبة" تفاعلية تضع القارئ في مكان اللاجئ؛ لشرح تعقيدات رحلة اللجوء ومخاطرها وحجم القرارات المصيريّة التي يضطر إليها اللاجئون من مختلف الفئات في رحلتهم التي ينطلقون فيها هربًا من الموت والاضطهاد.

- **"القميص على ظهرك"** (The Shirt on Your Back)، وهي قصة إنسانيّة تفاعليّة عن فاجعة انهيار معمل "رانا بلازا" للملابس في بنغلادش، التي قضى فيها أكثر من 1,130 شخصًا. تجمع القصّة بين الشهادات الشخصيّة والبيانات للوقوف على ما حصل، وكشف التكلفة الإنسانيّة الحقيقية لقطاع تصنيع الملابس في العالم، التي يتكبّدها العمال في الدول الفقيرة. حققت القصّة نجاحًا كبيرًا، وحازت على جائزتين من العفو الدولية عام 2014.

كما صاحبَ هذا التطورَ الاهتمامُ بالأشكال الجديدة في الصحافة؛ مثل توظيف "الفيتشر" في البودكاست، أو البودكاست القصصي؛ مثل سلسلة سِيريل" (Serial) وهي في الأصل عمل استقصائي إذاعي، بُث على ثلاثة أجزاء عام 2014، من إنتاج منصّة (This American Life)، ويُعدّ من أوائل الأعمال التي رسّخت شعبيّة البودكاست بصفته وسيطًا صحفيًّا وسرديًّا في الصحافة الناطقة بالإنجليزية؛ حيث تناول في موسمه الأول إعادة التحقيق في قضيّة جنائيّة مثيرة للجدل، ثم استحوذت نيويورك تايمز على شركة الإنتاج سنة 2020. [19]

[19] See: New York Times, 2020, https://serialpodcast.org/season-one/

ب) في الصحافة البريطانية

في الصحافة البريطانية، لعبت القصص الإنسانيّة دورًا مركزيًّا في تطوّر الصحافة الشعبيّة في البلاد، وتحوّلت التغطية الإخباريّة معها إلى مواضيع وأساليب أكثر أدبية وجاذبيّة لعامة القرّاء، حتى صارت هي النمط المهيمن والسائد اليوم. وقد بدأ هذا التحوّل على نحو واضح بعد أن عمدت صحيفة "ديلي ميل" إلى توظيف القصص الإنسانيّة منذ أواخر القرن التاسع عشر. كما ساهمت هذه القصص في نجاح صحف مثل "الميرور" التي تميّزت تغطيتها لبعض الأحداث الكبرى مثل أحداث نهاية الحرب العالمية الأولى بالتركيز على السرد وتصوير الجوانب الإنسانيّة من وقائع الحرب حينها.

يبرز مقال "رحلة صحيفة الميرور ودورها في تشكيل الصحافة البريطانية"[20]، مسارًا هامًا في سيرورة القصّة الصحفية الإنسانيّة، والتصوير الفوتوغرافي المبتكر، في تحويل هذه التجربة الصحفية من فشل بالمعايير التجارية إلى نجاح باهر؛ إذ مثّل على وجه الدقة: الدور المهم الذي أدّته القصص الإنسانيّة في جذب اهتمام القرّاء وجعل الصحيفة أكثر شعبية وانتشارا.

وقد عقد المقال مقارنة لافتة بين صحيفتي "الميرور" و"الديلي ميل" وشكل تغطيتهما للأخبار خلال هدنة الحرب العالمية الأولى نهاية عام 1918؛ من أجل بيان الدور الذي أدّته القصص الإنسانيّة في تمييز نهج الميرور الصحفي. فقد خصصت "الديلي ميل" معظم تغطيتها للتفاصيل العملية والسياسية للهدنة، وأولت اهتماما أقل للجوانب الإنسانيّة المرتبطة بالخبر؛ حيث نشرت تفاصيل شروط الهدنة في صفحاتها الأولى، قبل أن تشير بإيجاز إلى الردود الشعبية في مقال أخر أقل أهمية.

---

[20] Gale Review Team, From Rise to Red Top: The Role of the Mirror in Shaping British Journalism April 2, 2020 (Accessed: Dec 14, 2025), https://review.gale.com/202002/04//the-role-of-the-mirror-in-shaping-british-journalism

أما "الميرور"، فقد ركّزت في المقابل على الجوانب الإنسانيّة والعاطفيّة للحدث، وأفردت صفحاتها الأولى بالكامل لصور الاحتفالات الشعبية وفرحة الجنود والمدنيين عقبَ الحرب، وتركت التفاصيل السياسية والعسكرية الأخرى للصفحات التالية.

إن الدور المهم للقصة الإنسانيّة يبرز بشكل أكبر في تطوير المحتوى الصحفي، وهو ما يحاول كتاب "قرن الصحافة الشعبية في بريطانيا، من عام 1896 إلى الوقت الحاضر"[21] إبرازه من خلال ثلاث موجات رئيسة، بين أواخر القرن التاسع عشر وحتى سبعينيات القرن الماضي:

الموجة الأولى: انطلقت مع إطلاق صحيفة "ديلي ميل" عام 1896، التي كانت ربما أول من أدخل ضمنَ أجناسها المختلفة "القصص الإنسانيّة" بوصفها جزءًا من تحولات الصحافة الجديدة، وهو ما مكّنها من جذب اهتمام الجمهور، ودفع صحفًا أخرى لاحقًا، مثل "ديلي إكسبرس" بعد ذلك بأربع سنوات فقط (1900) إلى تبنّي التوجّه ذاته.

الموجة الثانية: في ثلاثينيّات القرن العشرين، من خلال "الابتكار التحريري" على حد تعبير المقال مع إعادة إطلاق صحيفة "ديلي هيرالد" اليسارية التي تبنت نموذج الاهتمام بالقصص الإنسانيّة، والتركيز بشكل كبير على استخدام الصور والإعلانات وتركيز توجّهها نحو الطبقات العاملة النقابيّة، وقد مكّنها ذلك من أن تصبح بحلول عام 1933 أول صحيفة تبيع مليوني نسخة.

الموجة الثالثة: في سبعينيّات القرن الماضي مع إعادة إطلاق صحيفة "ذا صن" في عام 1969 تحت ملكية روبرت مردوخ، التي أحدثت تغييرا كبيرا في مجال

[21] Martin Conboy, Adrian Bingham, Tabloid Century: The Popular Press in Britain, 1896 to the Present, (Oxford, Peter Lang International Academic Publishers, 2015)

النشر الصحفي البريطاني بنهجها الجريء والمثير للجدل؛ إذ وصل توزيعها إلى حوالي أربعة ملايين نسخة.

ج) في الصحافة الفرنسيّة

اتخذ تطوّر الصحافة في فرنسا منحى فكريًّا واضحًا، ذلك أن الاهتمام بهذا النوع من القصص الإنسانيّة بدأ بشكل أكبر في أعقاب الحرب العالمية الأولى، واستمر بالتطوّر أكثر بعد الحرب العالمية الثانية، بسبب حجم الدمار والخسائر الإنسانيّة المضاعفة التي عاشتها البلاد وبقيّة القارة الأوروبية. فقد شكّلت الحروب التي شهدتها أوروبا طيلة ما يقارب أربعة عقود محفزاً أساسيًّا لتحوّل الصحف والمجلات الثقافية الفرنسية إلى الاهتمام بشكل أعمق بالإنسان وتجربته وذاكرته، بعيدًا عن الصراعات السياسية والتجاذبات الأيديولوجية، وهو ما سمح بتطوّر نمط صحفي يزاوج بين الصحافة والأدب والفكر والتحليل الإنسانيّ المعمق.

وبينما تميل الصحف الأنجلوساكسونية إلى إبراز الحدث والتركيز على سياقاته المباشرة، فإن المدرسة الفرنسية تميل إلى إبداء الرأي والتفسير والتعليق النقدي[22]. ويشير الباحث الفرنسي كريستوف شامبو إلى أن هذا التوجه في الصحافة الفرنسية قد يكون عائدًا إلى تأثير الكتّاب والأدباء الفرنسيين الكبار الذين مارسوا الصحافة على أسلوب الصحفيين، من أمثال بالزاك وفكتور هوغو وإميل زولا[23]؛ أي أولئك الكتّاب الذين جمعوا بين ممارسة الأدب والتعبير عن الهمّ الاجتماعي في مقاربة الواقع.

---

[22] Christophe Chambost, La presse anglo-saxonne et la prédominance des faits : un constat toujours d'actualité ?, Les cahiers de l'APLIUT, 2007, p 43.

[23] نفس المصدر، ص44

وهكذا فإن "الفيتشر" الفرنسي تميّز بجمعه بين اللغة الأدبية والتحليل الدقيق، مع اهتمام خاص بالمسائل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتقاطعات فيما بينها. ومن أبرز القضايا التي يستثمر فيها الصحفيون الفرنسيون قضايا الهجرة والفقر والتفاوت الطبقي، والصراعات الجيلية والأزمات الاجتماعية المتكررة، كما هي الحال في تغطية الصحافة هناك لاحتجاجات "السترات الصفراء."[24]

د) في الصحافة العربية

ارتبط ظهور القصّة الصحفية في الصحف العربية المطبوعة بالتحولات الثقافية والأدبية التي شهدتها المنطقة منذ نهايات القرن التاسع عشر، بالتزامن مع توسّع حركة الترجمة والاطلاع على أساليب الصحافة الأوروبية الحديثة والتأثّر بها. وتبرز في هذا السياق مثلًا جهود روّاد الصحافة العربية الأوائل أمثال رفاعة الطهطاوي وناصيف اليازجي وأحمد فارس الشدياق وجرجي زيدان وغيرهم، ممن أرسوا نمطا جديدا من الكتابة ينقل الأخبار والوقائع السياسية والاجتماعية ويعلّق عليها بتوسّل اللغة الأدبية العالية.

كما برزت في تجارب عربيّة أخرى ملامح مبكّرة لنمط جديد في الكتابة الصحفية، ولا سيما في لبنان وسوريا وفلسطين؛ حيث نما تأثير الحركات الوطنيّة ضد الاستعمار، ولاحقًا ضد الهجرة اليهوديّة والاستيطان في فلسطين، وكان هذا النوع من الكتابة هو الأكثر فعّالية في توثيق تلك المرحلة والتفاعل معها وتوعية

---

[24] انظر مثلًا المادة التي نشرتها لوموند بعنوان: "السترات الصفراء سرديّة حركة غير مسبوقة من رحم الفيسبوك" (« Les gilets jaunes», récit d'un mouvement hors norme né sur Facebook)، التي نشرت في ديسمبر 2018. في المادة مزج ممتاز بين تقنيات السرد القصصي وأسلوب "الفيتشر" الصحفي وذلك من خلال التركيز على بيان الجوانب الإنسانيّة في حياة الأفراد المنخرطين في الحركة، ثم تحليل الأبعاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي غذت الحركة، وكل ذلك عبر سرد قصصي إنسانيّ فعّال. https://www.lemonde.fr/les-decodeurs/article/2018/12/10/les-gilets-jaunes-recit-d-un-mouvement-hors-norme-ne-sur-facebook_5395359_4355770.html

الجمهور بها. كما ازدهرت الصحافة في مصر ولبنان والعراق وسوريا نتيجة تطور العمل السياسي وحركات التحرر ضد الاستعمار؛ حيث أصبحت الصحافة جزءا من أدوات النضال والكفاح ضد الوجود البريطاني والفرنسي. وقد بدأت معالم بعض الأعمال الصحفية تقترب من أسلوب الفيتشر، خاصة أنها كانت تركز على الحوادث السياسية والاجتماعية المهمّة، ومثال ذلك ما كان يظهر في صحف مثل الأهرام، والمقطم، والهلال، وغيرها من الصحف الرائدة التي قدّمت مقالات متأنية ومعمّقة أسهمت في تطوير السرد الصحفي العربي.

على غرار الصحافة الفرنسية، فإن ظهور القصص الصحفية عربيًا يعود بشكل رئيسي إلى انتقال عدد من الأدباء للعمل في الصحافة؛ إذ ساهموا في تجديد اللغة الصحفية من خلال تخفيفها وتبسيطها، إضافة إلى توظيف تقنيات السرد والوصف الأدبي في كتاباتهم الصحفية ومقالاتهم، مما جعل المحتوى أكثر قربًا من اهتمامات الناس وقضاياهم وحياتهم اليومية. وقد أدى احتضان الصحافة للأدب إلى حدوث نوع من التأثر والتأثير، كان من أبرز نتائجه ظهور كتابة القصّة الصحفية.

ففي مصر، مثلت كتابات يعقوب صنّوع (أبو نظارة) الساخرة (1839-1912) نموذجا مبتكرًا وفريدا في الكتابة الصحفية رغم طابعها الساخر؛ منها مقالاته الصحفية المنشورة في صحيفة "أبو نَظَّارة زَرْقا" في عددها الأول في عام 1877، التي تسببت بنفيه من مصر إلى باريس؛ لما تضمنته من مُحاورات ساخرة ومناقشاتٍ ضاحكة تنتقد سياسات الخديوي إسماعيل باشا، فتابع إصدارها من منفاه، لكن بعنوان مختلف قليلًا هو "رحلة أبي نظارة زرقاء"، وقد نشر منها ثلاثين عددًا بين أغسطس/آب 1878 ومارس/آذار 1879، وكانت من أشهر الجرائد على الإطلاق في تلك الفترة.[25] وكتابات صنّوع كانت مزيجًا من

[25] فيليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية، مؤسسة هنداوي، 2023، ص524

النقد السياسي الساخر، والمقال السردي التمثيلي، فمثلت تقاطعًا ضمنيًّا بين الصحافة والسرد، وكان ذلك أحد أسرار نجاحها وشهرتها.

مهدت صحافة صنّوع الطريق فيما بعد للعديد من الكتاب والصحفيين لاستلهام بعض عناصر الفيتشر، وتطويرها وتوظيفها في مقالاتهم ومنهم أحمد رجب ومحمود السعدني وجيل منَ الصحفيين والمثقفين بعد ذلك ممن تناولوا القضايا الاجتماعية والإنسانيّة في ظل تحولات ما بعد الاستعمار ونشوء أنظمة حكم جديدة في كل من مصر وسوريا وغيرهما من البلدان العربية.

ومع دخول التلفزيون إلى الفضاء الإعلامي العربي، برز تأثيره الكبير على الممارسة الإعلامية برمتها ولا سيما أنماط الكتابة الصحفية، وكان من الطبيعي أن ينسجم كل فعل إبداعي - خاصة المرتبط بالكتابة - مع هذا التأثير للوسيط المرئي الجديد. وهكذا بدأ توظيف الفيتشر يتخذ أشكالًا جديدة متعددة، ليس فقط في الصحافة المكتوبة والمجلات الثقافية، بل في البرامج الوثائقية أيضا. وقد برزت أسماء مثل أحمد بهاء الدين وجهاد الخازن ورياض الصلح وأمجد ناصر وغسان شربل ومصطفى العلوي وغيرهم، في تقديم مواد صحفية تحليلية وسردية إنسانيّة اقتربت في أسلوبها من روح الفيتشر، حتى إن لم تندرج تمامًا ضمن تعريفه الشائع في الصحافة الغربية.

وفي العصر الرقمي، أصبحت القصّة الصحفية الإنسانيّة أكثر تنوعًا في بيئة الإعلام العربي، خاصة مع ظهور "الفيتشر التفاعلي" الذي يوظف الوسائط المتعددة في تقديم القصص. وقد ترافق هذا التطور مع النهوض الذي عرفته صناعة الصحافة الاستقصائية في العالم العربي التي بدأت تعرف بعض التطور، فساعد هذا في تعزيز أسلوب الفيتشر في التحقيقات، فضلًا عن ظهور منصات عربية متخصصة في صحافة الفيتشر في لبنان ومصر والأردن والمغرب وغيرها.

4- لماذا نُعنى بالقصّة الصحفيّة الإنسانيّة؟

تتغيّر على الدوام الطريقة التي تُعرض وتُستهلك بها الأخبار، بدءا من الصحف الورقية والإذاعة ثمّ إلى التلفزيون والفضائيات وصولاً إلى عالم المنصات الرقمية. ويرافق هذا التغيّر تحوّلات في طبيعة المحتوى الإخباري وأساليبه، بما يلائم كل وسيلة إعلامية واحتياجات جمهورها. ورغم هذا التبدل في الأشكال والوسائط، فإن الاهتمام بالإنسان وهمومه ومختلف نشاطاته ظل ثابتاً ومحوريًا في العمل الصحفي.

من هنا تبرز أهميّة القصّة الصحفية الإنسانيّة، ليس لقدرتها على التأثير العاطفي والتواصل العميق مع القارئ وحسب، بل لدورها الحيوي أيضًا في التوعية والتأثير والكشف عن الظواهر الاجتماعية وتحليلها، وتوثيق تجارب الأفراد، ولفت الانتباه إلى ما يضيع في الأخبار، وجعل الصحافة أداة أكثر إنسانيّة وفاعلية.

وفيما يلي أبرز فوائد الاشتغال بالقصص الصحفية الإنسانيّة، سواءً بالنسبة للصحفي أو للجمهور أو للمؤسسة الإعلامية، وهذه الفوائد تقدّم لنا أجوبة ضمنية عن دواعي الاهتمام بهذا النمط من القصص.

أولا: الفائدة للصحفيين

1) التميّز والفرادة المهنيّة

مع موجة التحوّل الرقمي وتزايد المنصات الإخبارية وما تقدّمه من فائض الأخبار، برزت الحاجة إلى أساليب أكثر جذبا للجمهور. وفي هذا السياق، تجدّد الاهتمام بتوظيف تقنيات السرد القصصي (Storytelling) في نقل الأخبار، سواء كان ذلك في التقارير المكتوبة أو في التقارير المصوّرة أو الصوتية.

وقد أتاح هذا الاشتغال بالقصص الإنسانيّة فرصًا أكبر للصحفيين لتحقيق التميز والفرادة في معالجاتهم الصحفية، عبر تقديم زوايا جديدة غير مستهلكة، والاستفادة من قلة المشتغلين بهذا الشكل من القصص، بما يمنحهم قدرة أكبر على التأثير والمنافسة. كما أن قالب الكتابة القصصي يتيح للصحفي إمكانية توظيف قدراته اللغوية وصوته السردي لخدمة قصّته الصحفية، على عكس المواد الخبرية التقليدية التي تتطلب غالبًا الحياد الجافّ والاختزال والالتزام باللغة المباشرة والموضوعية.

2) قدرة أكبر على التأثير وإحداث التعاطف

تسهم القصص الصحفية الإنسانيّة في إزالة الحواجز النفسية والثقافية، وتساعد الجمهور على تكوين روابط مع القصّة وشخوصها من خلال التقمّص العاطفي، أو المواجدة أو الانغماس العاطفي (Empathy)؛ أي القدرة على التماهي العاطفي مع الآخرين وفهم مواقفهم وأحاسيسهم ورؤية العالم من

وجهة نظرهم. ولمسألة التقمص العاطفي أهمية كبيرة في الصحافة؛ ذلك أن تفاعل الأشخاص عاطفيًا مع قصص الآخرين يرفع من وعيهم بخصوص المشاكل والقضايا التي يواجهونها، ويساعد على إدراك التأثير البشري الحقيقي لمجموعة كبيرة من المسائل، بدءاً من السياسات والمشاكل المحلية وصولاً إلى الحروب الدولية والقضايا الإنسانيّة الكبرى التي قد تبدو مجرّدة أو بعيدة.

فالصحفيون المتمرّسون باتوا يدركون أن أفضل طرق الإبلاغ لنقل تأثير هذه الأحداث والكوارث الإنسانيّة، هو البحث عن تأثيرها في حياة الأفراد، من خلال نقل قصصهم وسردها بتفاصيلها الخاصة والحيوية، والحرص على توثيقها.

في الحرب الإسرائيلية على قطاع غزّة بعد السابع من أكتوبر التي راح ضحيتها أكثر من 70 ألف شهيد، ودمّرت فيها معظم منابع الحياة الأساسية في القطاع المحاصر، برزت العديد من القصص الصحفية الإنسانيّة الفريدة، التي تقف على حياة الناس بعيدًا عن لغة الأرقام والخسائر. فالصحفية الفلسطينية مرام حميد وثقت العديد من هذه القصص الفريدة لأشخاص وظواهر على هامش الحرب، تدلّ على قيمة الحياة لدى الفلسطينيّين رغم الإبادة. من هذه القصص، نذكر قصّة "الكوافيرة نجلاء" لنعرف منها أن الإقبال على "صالونها" متواصل خلال الحرب، بل إن فترة الحرب هي أكثر فترة عملت فيها نجلاء[26]. وقد عملت مرام على عدّة قصص حول مشاريع لصالونات تجميل خلال الحرب، مثل قصّة "كوافير نور" التي تحاول في مشروعها تقديم الدعم النفسيّ للنساء في غزّة في صالونها المتواضع المقام داخل خيمة بسيطة.

مثل هذه القصص الإنسانيّة من واقع الحرب لا تنقل قصة فرد بعينه وحسب، بل تقدّم مثالًا يكشف عن أوجه إنسانيّة متعددة وراء الكوارث

[26] انظر حكاية هذه القصّة في كتاب "وحدنا غطينا الحرب" الصادر عن معهد الجزيرة للإعلام، (2024)، صفحة 51

والمآسي، وتعزّز من قدرة الجمهور على استيعاب الحدث بأبعاده الإنسانيّة والاجتماعيّة الأوسع، وتحفظ الصوت الإنساني وتجربته التي تضيع في غمرة الأخبار العاجلة والبث المباشر.

تجنّب "الاستعطاف" في القصّة الصحفية

من السهل كتابة قصّة "تُبكي" القارئ وتستدرّ عواطفه، لكن الأصعب هو كتابة قصة تجعله يفهم ما حصل ويتخذ الموقف السليم منه. فمعيار النجاح في القصّة الإنسانيّة يظل دومًا محكومًا بالمعلومات والوقائع والمعايير المهنية، وهي لذلك لا تحتمل المبالغات في الوصف وزخرفة اللغة دون مسوّغ، أو تشويه المعلومات زيادة أو نقصًا من أجل تحقيق أثر درامي أو عاطفي.

فالقصّة الإنسانيّة المؤثرة هي التي تتيح للقارئ أن يشارك "تجربة الشعور" مع شخوص القصّة، وأن يرى العالم بأعينهم رغم اختلاف السياق والأزمنة والأماكن، وهذا أمر مختلف تمامًا عن استثارة "الشفقة"؛ فمشاعر الناس مشتركة ومتداخلة، والقصّة الصحفية الإنسانيّة هي جسرٌ للتشبيك بينها.

سفيتلانا ألكسيفيتش
صحفية وكاتبة بيلاروسية توّجت بنوبل في الأدب عام 2015، تميزت أعمالها بتوثيق المشاعر الإنسانيّة وتحويل الأصوات الفردية لسجلّ جماعي لتجارب البشر في الحروب والكوارث.

وهنالك أمثلة عديدة في الصحافة العالمية التي جسّدت هذا الفهم للعمل الصحفي، مثل الصحفية البيلاروسية الشهيرة سفيتلانا ألكسيفيتش التي حازت جائزة نوبل في الأدب عام 2015. فالكاتبة - في مجمل أعمالها الصحفية - لم تسعَ إلى استدرار عطف القارئ، بل سعت إلى توثيق "المشاعر" عبر أداة المقابلة الصحفية؛ لتسجّل كيف يتحدّث الناس عن الخوف والحبّ والفقد والحرب والنجاة. فألكسيفيتش نظرت إلى المشاعر بعين الصحفي، لا بوصفها وسيلة للإثارة، بل بوصفها شهادات إنسانيّة تساعد على فهم الواقع بشكل أفضل.

ثانيًا: الفائدة للجمهور

• تلبية احتياجات الجمهور النفسية والمعرفة:

يميل الإنسان بطبعه الفضولي إلى تتبّع أخبار الآخرين، وسماع ما يجري في حياتهم من أحداث وما يخوضونه من تجارب وتحولات. وهذا ما تتيحه القصص الصحفية الإنسانيّة بامتياز؛ فهي تقدم لجمهورها هذه الإمكانية من خلال نقل تجارب وقصص أشخاص آخرين، وفتح نافذة لفهم العالم من خلالها. على هذا النحو، فإن وضع القصص الإنسانيّة في قلب التغطية الخبرية يعود بالفائدة على الجمهور في شقين: فمن جهة يقدّم للقارئ شخصًا يرتبط به ويتفاعل مع قصته عن طريق عرضِ أحداثٍ وتفاصيلَ من حياته، ومن جهة ثانية، فإنها تساهم في تعميق معرفة المتلقي بالأحداث والقضايا التي تتمحور حولها القصّة، وسياقاتها وامتداداتها المختلفة.

• تعزيز الفهم

بإمكان الصحفيين عبر القصص الصحفية الإنسانيّة نقل الأخبار والأحداث بطريقة جديدة أكثر عمقًا وأغنى من حيث التفاصيل؛ إذ تأتي القصّة غالبًا على لسان المعنيّين الأساسيّين بها أو المتأثّرين مباشرة من تداعياتها. وهنا لا تُقدَّم القصّة حدثًا مجردًا، بل بصفتها حكاية مشحونة بالتفاصيل والانفعالات ووجهات النظر، وهو ما يتيح للجمهور تشكيل فهم أكثر ثراء ونضجاً عن الموضوع المعالَج.

من خلال اعتماد القصص الإنسانيّة، يقدّم الصحفيون المعلومات بطريقة أكثر قابلية للفهم؛ لأنها تُؤطَّر في سياقها وتُدعَم بالتفاصيل وأبعاد الخبر المتعدِّدة، وهذا أكثر إرضاءً للمتابعين حسب ما تكشفه الأبحاث العلمية.

فقد كشفت مجلة "علم الأعصاب الإدراكي" في دراسة أجريت عام 2011 أن "السرد يمكن أن يحفّز عقول الجماهير بشكل مختلف، وبأن القشرة الحركية للدماغ البشري يمكن تنشيطها بقوة أكبر فقط من خلال استخدام السرد بضمير المتكلم"[27].

كما أظهرت دراسة منجزة حول تأثير استعمال القصص الإنسانيّة على القرارات السياسية أن لتغطية المواضيع السياسية من خلال اعتماد القصص الإنسانيّة دورًا كبيرًا في طريقة إدراك المواطنين للقضايا السياسية وفي تكوينهم آراءَ عنها. وبالتالي يجب أن يستوعب الصحفي هذا الأمر، ويعي أن النماذج الإنسانيّة التي يختارها ويقدمها للجمهور تؤثّر في الطريقة التي يتعاطى بها المشاهد مع القضايا السياسية"[28].

---

[27] Lara Smit, The importance of storytelling in journalism, 2022, https://www.mediaupdate.co.za/media/151718/the-importance-of-storytelling-in-journalism

[28] Kimberly Gross, «Framing Persuasive Appeals: Episodic and Thematic Framing, Emotional Response, and Policy Opinion», Political Psychology 29, no 2 (Avril 2008): 169-92, https://doi.org/10.1111/j.14679221.2008.00622-.x.

ثالثًا: الفائدة للمؤسسات الإعلامية

• بناء الهوية التحريرية وتعزيز المصداقية

يساعد الاشتغال بالقصص الإنسانيّة الصحفية المؤسسةَ الإعلاميةَ التقليديةَ أو البديلة الناشئة على بناء هوية تحريرية متميزة عن غيرها في سوق الأخبار المتخم بالمحتوى السريع والمتشابه؛ فحين تولي وسيلة إعلام اهتمامًا بالأبعاد الإنسانيّة في قصصها الصحفية وتشجع صحفييها على العمل المتأني والدقيق في إنجاز قصص صحفية إنسانيّة ناضجة، فإنها بذلك ترسم لنفسها مسارًا مهنيًا خاصًا لا يكتفي بنقل الأخبار العاجلة وتقارير المحتوى الإخباري السريع المهووس بالقراءات والمشاهدات، بل ينقل رسالة إلى الجمهور بأنها تسعى لفهم الناس والمجتمع ونقل أصواتهم وتجاربهم.

هذا الالتزام يعزز من مصداقية المؤسسة ويبرهن على جدّيتها، ويمنحها صورة أكثر موثوقية على المدى البعيد، خاصة في ظل تراجع الثقة بوسائل الإعلام في أنحاء مختلفة من العالم، بما فيها المنطقة العربية.

• رفع جودة المحتوى

تسهم العناية في إنتاج القصص الصحفية الإنسانيّة في تنويع المحتوى المهني الذي تقدمه المؤسسة لجمهورها بمختلف شرائحه واهتماماته، بعيدًا عن الأخبار الرسمية أو أخبار الحوادث العاجلة. فهذه القصص تفتح المجال أمام التغطية المعمقة والاستقصائية المؤنسنة، وبقوالب سردية مشوّقة تعتمد على مقابلات وملاحظات صحفيّة معمّقة.

كما أن هذا النوع من القصص - باعتماده على الجانب السردي والفني - يرفع من جودة المادة، ويمنح المؤسسة محتوى مميزًا قد تستفيد من إعادة إنتاجه بصيغ متعددة: مكتوبة وصوتية ومرئية أو حتى رقمية تفاعلية.

• زيادة الانتشار وتحسين التفاعل

تشير بعض الدراسات إلى أن القصص الصحفية الإنسانيّة تسهم في زيادة نسب القراءة كما ترفع من معدلات مشاركتها في مختلف المنصّات الرقمية، خاصة عند المقارنة مع التغطيات الإخبارية التقليدية[29]. كما يؤكّد خبراء منصات التواصل الاجتماعي على أن القصص التي تلامس مشاعر الجمهور وتعزّز لديهم القدرة على التقمّص العاطفي مع أطرافها، تزيد من فرص وصولها والتفاعل معها.

---

[29] On the Role of Emotion in the Future of Journalism, Charlie Beckett and Mark Deuze

القصّة الإنسانيّة في سياق الحروب والإبادة

في الحروب والإبادات الجماعية، تتجاوز القصّة الصحفية دورها التفسيري وتتعدى الفوائد التي سردناها أعلاه، لتصبح أدلةً تاريخيةً وقانونيةً تحفظ قصص من عاشوا في الحرب على نحو تعجز عنه التقارير السياسية والأخبار العاجلة والأرقام المجرّدة؛ ففي هذه السياقات تكون القصص الإنسانيّة المهنية مادة مساندة للقانون ودافعًا من أجل تحقيق العدالة للضحايا، وحاجزًا يمنع من نسيان الجرائم التي وقعت في حقهم، وهذا ما بينته التجارب الكبرى المعروفة، من البوسنة إلى رواندا، وربما في المستقبل في فلسطين وسوريا والسودان وغيرها.

المحور الثاني:

ملامح القصّة الصحفية الإنسانيّة

أولاً: محدّدات القصّة الصحفية الإنسانيّة

ترتكز القصّة الصحفية الإنسانيّة على الأفراد أساسًا وعلى تجاربهم وعلاقاتهم وما يرتبط بها، والتحديات التي يواجهونها في مختلف السياقات والظروف المحيطة بهم، مع تسليط الضوء على الجانب الإنساني للأحداث والقضايا، وإضفاء بُعد عاطفي ومعرفي يساعد القارئ على فهم الظواهر من خلال فهم شخصياتها المؤثرة بها.

وفيما يلي أبرز محدّدات القصّة الصحفية الإنسانيّة:

1) الحالة الإنسانيّة.. نقطة البداية والنهاية

ينبغي أن تنطلق القصّة من تجربة محدّدة لشخصية أو مجموعة أفراد تعبّر عن "الظاهرة" الأوسع، حيث تتحول القصّة إلى نافذة لفهم أبعاد غير مرئية في المجتمع، وإدراك ما فيه من تحولات خفيّة أو مهمّشة. وعلى الصحفي مع ذلك استحضار أقصى درجات الدقة والشفافية، ومن دون الوقوع في فخ المبالغة أو الاستغلال عبر التوظيف العاطفي المفرط. فالقيمة تكمن في صدق التجربة ودقّتها الصحفية المهنية، وقدرتها على كشف أبعاد إنسانيّة مهمّة في أحداث قد تبدو عادية ومألوفة.

فالحالة الإنسانيّة بهذا المعنى هي نقطة البداية التي تنطلق منها القصّة وهي نقطة النهاية التي تعود إليها، فتكون الدائرة حول الإنسان لا حول الحدث فقط.

2) التحقق والتوثيق

لا تكفي رواية الشخصية موضوع القصّة وحدها، بل لا بد من إسنادها بأدلة ووثائق تتجاوز معطى السرد أو المعلومات الشخصية. ويمكن تحقيق ذلك بالمصاحبة الدقيقة والمعايشة، أو الاطّلاع على وثائق وتقارير يمكن التحقّق منها، أو عبر شهادات الخبراء، وغيرها من أساليب التحقّق التي تضفي مصداقية وشفافية على عناصر القصّة وتفاصيلها، كما تساهم في إبراز أي فجوات فيها. وتتزايد أهمية هذا الجانب في الشهادات ذات الصلة بالأزمات أو الحروب، حيث تأتي بعد صدمات وتجارب تؤثّر في الذاكرة، قد تتسبب إما في نسيان تفاصيل أساسية أو المبالغة في سرد بعض الأحداث.

والتحقّق هنا لا يدعم القصّة الإنسانيّة التي يشتغل عليها الصحفي وحسب، بل يساهم في تحليل جذور الظاهرة موضوع القصّة وتشخيص أبعادها المعقدة بدقّة وشفافية.

تخيل أنّك صحفي تعمل على قصة إنسانيّة حول أحد الناجين من السجون السورية عقب سقوط نظام الأسد في مطلع ديسمبر/كانون الأول 2024. خلال المقابلة، لاحظت أن في الرواية اضطرابًا في بعض التفاصيل (تاريخ وملابسات الاعتقال، ظروف الاعتقال، تسلسل الأحداث). في هذه الحالة، رغم أهمية كل شهادة من المصدر في ذاتها، فإنّ على الصحفي أن يسعى إلى تدعيم الرواية بما يتوفّر لديه من أدلة صحفية أخرى؛ من وثائق أو روايات مصادر أخرى أو تقارير طبية، أو متابعات من منظمات حقوقية. يلزم الصحفي أيضًا تحضير عدد من الأسئلة الاستيضاحية التي يمكن طرحها على المصدر بطريقة حسّاسة ومهنية لتأكيد بعض المعلومات والتفاصيل، دون المخاطرة بفقدان ثقة المصدر، لكن من دون التخلّي في الوقت ذاته عن أهميّة مصداقيّة القصّة الصحفية.

3) الترتيب والربط بين الأدلة

يتطلب إنتاج القصّة الصحفية الإنسانيّة العمل على جمع الأدلة والشهادات والمعلومات وترتيبها ترتيبًا موضوعيًا وفق منطق سردي يناسب عناصر القصّة ويخدمها ويعزّز فهمها. لذا ينبغي تسهيل جمع وثائقك وتتبعها ومراجعتها؛ لأنها تسهّل على ذهنك الربط بين المعطيات (الأدلة)[30]. فنجاح القصّة لا يعتمد على قوة المادّة الخام فقط، بل يتطلب من الصحفي تطوير منهجية واضحة في التتبّع والمراجعة والتصنيف، بما يساعد في بناء سردي متماسك.

من المفيد أيضًا أن يحتفظ الصحفي بملاحظات واضحة ومؤرشفة، ويضع علامات تربط بين المصادر والاقتباسات والوقائع؛ لأنّ ذلك يسهّل الربط بين المعطيات المتفرقة، ويمنع التكرار أو حصول أي تناقض داخل القصّة.

4) التوازن بينَ الأسلوب السردي والموضوعية الصحفية

يتطلب العمل الصحفي في هذا النوع من القصص الحفاظ على توازن دقيق؛ فلا يجب أن يغلب الأسلوب العاطفي الذي يُثير التعاطف لدى القرّاء على حساب الدقة الموضوعية والأدلة والتحقيقات، كما لا يُمكن للأرقام والحقائق الجامدة أن تُفقد القارئ عمق التجربة الإنسانيّة. لذلك فإن على الصحفي الحفاظ على هذا التوازن بين الأسلوب السردي ومعايير الدقة والموضوعية المهنية المرعيّة.

---

[30] Mark Lee Hunter WITH (IN ALPHABETICAL ORDER) NILS HANSON, RANA SABBAGH, LUUK SENGERS, DREW SULLIVAN AND PIA THORDSEN, Story-Based Inquiry: A manual for investigative journalists, UNESCO, 2011 p 55.

5) الكتابة السردية الجذابة

تتطلب مرحلة الكتابة في القصّة الصحفية الإنسانيّة إعدادًا خاصًا وتحضيرًا واعيًا، يشمل اختيار طبيعة اللغة المناسبة، وتوظيف أدوات السرد، وصولاً إلى الإنتاج النهائي للقصة. فعلى الصحفي أن: "يستخدم قوة الأدوات المرتبطة بالخيال الأدبي (مثل المشهد، والحوار، والوصف الحيّ والدقيق) دون أن ينساق إلى تأليف عمل تخييلي". تبدأ القصّة بمدخل سردي يلفت انتباه القارئ؛ سواء أكان مشهدًا واقعيًا مؤثرًا، أم حوارًا صادمًا، أم وصفًا حيويًا للواقع المرير. هذا المدخل يمثل "بوابة" تُقحمُ القارئَ في قلب الحدث وتدعوه للتعمّق - فيما بعد - في الجوانب التحقيقيّة الدقيقة التي توضّح السياق البنيوي والظروف المؤثّرة.

من شأن هذه المحدّدات أن تساعد الصحفي على إعداد إطار متكامل ينسجُ قصة إنسانيّة تجمع بين الجانب الإنساني العاطفي، والبحث التحقيقي الدقيق، وهذا ما يُعطي القصة قوة تأثير وقدرة على إثارة الوعي والمساءلة في المجتمع.

ثانيًا: سمات القصص الصحفية الإنسانيّة

يشكّل المكوّن الإنسانيّ جوهر القصّة الصحفية الإنسانيّة، وهو السمة العامة الأبرز التي تميّز هذا النمط من العمل والكتابة الصحفية، باعتبار أن الإنسان هو مركز الحكاية ومحورها. وإلى جانب هذه السمة المركزية، ثمّة سمات وخصائص أخرى تميّز القصّة الصحفية الإنسانيّة، بعضها قد يتقاطع مع أنماط صحفية أخرى، لكن يعاد توظيفها هنا لخدمة البعد الإنسانيّ أساسًا[31]. وإذا كانت محدّدات القصّة الصحفية الإنسانيّة تمثّل الإطار العملي الذي يوجّه الصحفي أثناء البحث والإعداد والتحقّق والكتابة، فإن السمات تعبّر عن الملامح التحريرية التي يشترط وجودها عادة في القصّة، وتمنحها حضورها المختلف بين الأجناس الصحفية الأخرى.

وفيما يلي أبرز هذه السمات التي تُميّز القصّة الصحفية الإنسانيّة:

• **السرد:** يعدّ السرد أحد أعمدة القصّة الصحفية الإنسانيّة؛ إذ تُروى القصّة في تسلسل سردي محكم ومشوّق، فيه عنايةٌ بالوصف باعتباره من أهم عناصر بناء القصّة، لا سيما وصف الشخصية المركزية للتعرف على سماتها الخارجية والداخلية، وإظهار مشاعرها أو تأثيرها وتأثّرها بالأحداث، بالإضافة إلى وصف البيئة المحيطة بها والفضاء الذي تدور فيه؛ أي وصف الأشخاص والمكان والزمان وسياق القصّة وكلّ ما يظهر أنه سيقدّم إضافة للموضوع، وبما يعمّق فهم القارئ ويزيد تفاعله.

---

[31] نور نعيم، القصّة الخبرية وتطبيقاتها في الصحافة الفلسطينية (رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين: الجامعة الإسلامية، 2016). ص61 و62.

فالقصّة الصحفية الإنسانيّة لا بدّ أن تُكتب بأسلوب سردي ديناميكي وحيوي، بعيد عن الرتابة، يتلقط التفاصيل ويعرضها بعناية وبدون تكلّف، وبما يخدم القصّة الصحفيّة نفسها.

تذكّر: في زمن الحرب يصبح السرد فعلًا من أفعال الشهادة والتوثيق؛ فالصحفي لا يكتفي باتّباع منهجية القصّة الصحفية التقليدية، بل يمنح المصادر صوتهم الخاص، ويعيد الاعتبار للإنسان وخصوصياته وسط فوضى الصورة والأخبار العاجلة وبيئة الإعلام الرقمي، فتكتسب القصّة الإنسانيّة بعدًا توثيقيًا أخلاقيًا وقانونيًا وشعوريًا في آن واحد.

• **التأني:** على خلاف الأخبار العاجلة، لا تقوم القصّة الصحفية الإنسانيّة على السبق الصحفي والإعداد والنشر العاجلين؛ فهذا النمط من القصص لا يرتبط بالضرورة بمستجدات الأحداث، وغير مدفوعٍ بضرورة تغطيتها الآنية، بل ينتمي إلى أسلوب من العمل الصحفي الذي يتقصّى "القصّة وراء القصّة". وهي لا تلاحق الحدث نفسه، بل تبحث في تداعياته الإنسانيّة الأعمق، وهو ما يتطلب بطبيعة الحال الوقت والجهد والمهارة في التقصّي والملاحظة والمعايشة والحضور في الميدان والتعرّف إلى شخصيات القصّة وتفاصيلها وظروفها. وبالتالي تعدّ سمة التأنّي عنصرًا يضمن القيمة المضافة الحقيقية إلى القصص الصحفية الإنسانيّة.

• **القرب:** تستفيد القصّة الصحفية الإنسانيّة من مبدأ "القرب" المألوف في الأخبار، لكن هذه الاستجابة لا تتعلق بالقرب الجغرافي فقط، بل تتوسع في القصّة الإنسانيّة لتشمل القرب النفسي أو الثقافي أو العاطفي، وهو ما يسهم في تحقيق انتشار وتأثير مضاعف لها. فقد نجدُ قصصاً بعيدة جغرافياً عن القارئ أو المشاهد لكنها تنجح في تجاوز الحدود الجغرافية والوصول إلى القرّاء من مختلف أنحاء العالم وإثارة اهتمامهم وتفاعلهم مع القضيّة التي تغطيها.

• **القيمة الخبرية:** حق مع طابعها السردي والعاطفي، ينبغي أن تحمل القصّة الصحفية الإنسانيّة أهمية للقارئ وقيمة إخبارية حقيقية؛ بمعنى أن تضيف شيئًا جديدًا للقارئ يتجاوز الشكل السردي أو السمة الإنسانيّة أو العاطفية المؤثرة، ويكون فيه حمولة صحفية ذات مضامين توسّع مدارك المتلقي وتعزز إدراكه الموضوعي للسياق العام للمسألة موضوع القصّة.

• **الغرابة والطرافة:** عنصر الغرابة في القصّة يشير إلى ذلك الجانب غير المعروف أو غير المتوقع الذي لم يسبق عادة التطرق إليه أو معالجته في التغطيات الخبرية التقليدية. فقد تكون القصص نادرة أو طريفة ومفاجئة، أو تحمل مفارقة إنسانيّة لافتة، وهو ما يجعلها جذّابة للصحفيين، وهم يسعون ما أمكن إلى البحث عن قصص أشخاص لم ترو بعد أو لم يتم اكتشافها. إلا أنّ من المهم ألا يكون عنصر الغرابة هدفًا بحدّ ذاته، بل يرتبط بشكل عضوي بالقصّة الصحفيّة ويخدمها.

في المحصلة، يمكن تلخيص السمات العامة للقصة الصحفية الإنسانيّة في المحاور الآتية التي يعرضها هذا الجدول:

المحور	السمات
بنية القصّة	السرد، التوصيف الدقيق، اللغة الحيوية
المعايير المهنية	التأنّي، التحقّق، الأصالة
القيمة الإنسانيّة	الحسّ الأخلاقي، التعاطف
القيمة المعرفية	القيمة الخبرية، العمق، السياق، الغرابة والطرافة
الوظيفة	الشهادة، الذاكرة، القيمة القانونية

حفّار القبور

كان الصحفي الأمريكي الشهير جيمي بريسلين بالكاد قد بدأ العمل في صحيفة نيويورك هيرالد تريبيون عندما اغتيل الرئيس جون كينيدي في أواخر نوفمبر/تشرين الثاني 1963، إلا أنّ ذلك لم يمنعه من كتابة القصّة الصحفيّة التي ستغيّر مسار حياته المهنيّة، وتخلّد اسمه ضمن قائمة كبار الصحفيين وأكثرهم تأثيرًا في الولايات المتحدة وخارجها. فبعد اغتيال كينيدي، اجتمع ثلاثة آلاف صحفي لتغطية مراسم الجنازة في واشنطن. أربك ذلك بريسلين، وتولّدت لديه بحسّه الصحفي الفذّ قناعة بأنّه لن يستطيع أن ينافس كلّ أولئك الصحفيين لتغطية الحدث ذاته. اختلى للحظات بنفسه في ردهة البيت الأبيض، وخطر له أن يترك المكان الذي يطمح أن يكون فيه أي صحفيّ، ويتوجّه بدل ذلك إلى المقبرة، حيث سيدفن كينيدي، وهنالك قرّر بريسلين أن يكتب قصّته الصحفية بالاعتماد على مقابلةٍ صحفيّة مع "حفار القبور" الذي حفر قبر كينيدي، وكان اسمه كليفتون بولارد، وضمِن لنفسه قصّة صحفيّة نادرة تجمع بين السرد والغرابة والأنسنة، وتعدّ حتى اليوم واحدة من كلاسيكيات الصحافة الإنسانيّة وأكثرها شهرة.

المحور الثالث:

كيف أنتج قصة صحفية إنسانيّة!

أولاً: البحث عن القصّة وتحديد الفكرة

القصّة الصحفية الإنسانيّة لصيقة بالأحداث والأخبار، ويمكن العثور على قصص فريدة عند تدقيق النظر في أغلب الأخبار اليومية، سواء تعلقت بالأحداث السياسية أو الشؤون الاجتماعية أو حتى الاقتصادية. يكفي أن ينقّب الصحفي وينبش في زوايا الأخبار وامتداداتها وخلفياتها بحثاً عن المتأثرين بها أو الفاعلين فيها.

فوراء كلّ خبر عابرٍ عن قرار حكومي ما قد تكمن قصص أناس عاديين يتأثرون به في حياتهم اليومية، وبين أرقام التقارير الاقتصادية الجافّة عن التضخم والبطالة تكمن حكايات أسر بأكملها تكافح لإيجاد حلول للبقاء، وقصص أشخاص يحوّلون صعوبات حياتهم إلى فرص جديدة.

غير أن عناوين الأخبار ليست دائمًا هي المكان الأمثل للعثور على قصص جديدة، بل يلزم النظر في مصادر متنوعة أخرى؛ كالتقارير الصادرة عن المؤسسات الرسمية والمنظمات الدولية أو الأهلية التي قد تخفي بين ثنايا أرقامها وإحصاءاتها قصصًا إنسانيّة مؤثرة، أو تجارب تستحق أن تروى، وإن بدت للوهلة الأولى جامدة بلا روح.

كما تمثل شبكة المصادر البشرية التي يطوّرها الصحفي على مدى سنوات العمل الصحفي كذلك قائمةَ شهود قد تقود لاستكشاف قصص فريدة لا تصل عادة إلى وسائل الإعلام. ويمكن للصحفي أيضًا الاعتماد على تجاربه ومشاهداته اليومية؛ إذ إن الذاكرة الشخصية والملاحظات اليومية العابرة قد تتحوّل إلى بذور لقصص إنسانيّة مهمّة وناجحة.

عموما، تكمن المهارة الحقيقية في تطوير "عينٍ صحفيّة" قادرة على التقاط الإمكانات القصصية في المعلومات والتفاصيل اليومية والربط بين الأحداث التي قد تبدو متباعدة وغير مترابطة، وهي مهارة تتطور مع الممارسة، والشغف، والفضول المستمر تجاه التجارب الإنسانيّة.

إضافة إلى ما سبق، يبقى فهم أنواع القصص الإنسانيّة والاختلافات فيما بينها أداة قيّمة تساعد في العثور على مواضيع قصصية فريدة ومميزة.

ثانيًا: إستراتيجيات البحث عن القصص الإنسانيّة

(1) تطوير حسّ الملاحظة

غالبًا ما تختبئ القصص الإنسانيّة الفريدة في تفاصيل دقيقة يمر عليها معظم الناس مرور الكرام دون ملاحظتها. لذا، فإن صقل "حسّ الملاحظة" يمثّل خطوة أولى وأساسية للصحفي الساعي وراء هذه الحكايات ذات الطابع الإنساني.

نصائح لتحسين حسّ الملاحظة:

كل مدينة وكل حيّ من أحيائها فسيفساءُ من الأمكنة والفضاءات الضّاجة بالقصص. يمكن أن تجرّب مثلاً أن تغيّر مسارك المعتاد للعمل من وقت لآخر، أو أن تستخدم وسائل النقل العام بدلاً من سيارتك الخاصة. هذا التغيير البسيط قد يفاجئك بكمّ كبير من المشاهد والمواضيع الجديدة غير المتوقعة.

من المفيد أيضاً قضاء وقت بشكل منتظم في الأماكن العامة؛ مثل حضور اجتماعات المجالس المحلية، والمؤتمرات والفعاليات الثقافية، والتجوّل في الأسواق الشعبية، والتردد على المقاهي الشعبية. في مثل هذه الفضاءات، تتشكل فرصٌ لملاحظة الهموم الحقيقية للناس واستكشاف تجاربهم والاستماع إليها عن قرب أو الوصول إلى معلومات قيّمة عن المجتمع المحلّي وقضاياه، وهو ما يقود بالتالي إلى قصص إنسانيّة أصيلة ومختلفة.

كما ينبغي الحرص دائماً على حمل دفتر ملاحظات صغير أو الاستفادة من بعض التطبيقات ذات الصلة على الهاتف التي تساعد على تدوين الملاحظات السريعة وترتيبها، أو توثيق بعض مشاهداتك بالصور أو الفيديو. ولا تكتفِ بالاعتماد على ذاكرتك فقط؛ فالتفاصيل الدقيقة تُنسى سريعًا، وقد تضيع منك جزئيات وتفاصيل صغيرة مهمّة قد تشكل مفتاحا لقصّة إنسانيّة كبيرة.

تذكّر: التفاصيل الدقيقة تُنسى سريعًا، وقد تضيع منك جزئيات وتفاصيل صغيرة مهمّة قد تشكل مفتاحا لقصّة إنسانيّة كبيرة

تطوّر حسّ الملاحظة لدى الصحفي لا يحدث من فراغ، بل هو نتاج تجربة طويلة تشمل ما يراكمه من تجارب خلال مساره المهني، وهي أيضًا حصيلة قراءاته وما خزنته ذاكرته وعلاقاته بالمصادر البشرية. لكنّ حسّ الملاحظة أيضًا موقف نقديّ من الأشياء، يتجاوز مجرّد التقاط "الزاوية المختلفة"، ويتبنّى زاوية تحليلية نقدية، لها القدرة على هدم التصورات التقليدية السابقة والتحرّر منها.

مثال تاريخي:

لنقرأ مثلًا ما كتبته الكاتبة والفيلسوفة الألمانية حنّة أرندت التي كانت تغطي محاكمة أدولف أيخمان لفائدة مجلة نيويوركر الأمريكية. ففي كتابها "أيخمان في القدس.. تقرير حول تفاهة الشر"، لم تكتفِ أرندت بمراقبة سير المحاكمة والتقرير الخبري المباشر عنها، بل قرأت المشهد بتفاصيله وتجاوزت سطح الحدث، وأدركت الرسالة السياسية التي تختبئ فيه والبنية الخفيّة التي تشكّله:

"من الأكيد أن من قام بتصوّر قاعة المحكمة كان يفكر في المسرح، بمقاعده الأمامية وبشرفاته وخشبة المسرح الأمامية، ومنصته وأبوابه الجانبية لدخول الممثلين. ومن الواضح أن هذه القاعة لم تكن ديكورا مشينا لفرجة تصوّرها ديفيد بن غوريون أول رئيس وزراء إسرائيلي، عندما قرّر اختطاف أيخمان من الأرجنتين وتقديمه أمام محكمة القدس لمقاضاته على مساهمته في "الحل النهائي للمسألة اليهودية". فبن غريون الملقب عن حق "بمهندس الدولة" هو المخرج المتخفي للمسرحية الذي قبل "لم" يحضر أي جلسة. فهو يتخاطب مع المحكمة عن طريق جيدعون هوسنار، المدعي العام ممثل الحكومة الذي بذل جهدا وقام بالمستحيل، للإذعان لسيده".[32]

إن حس الملاحظة إذن لا ينطلق من فكرة إيجاد زاوية معالجة مختلفة، بل زاوية معالجة نقدية أيضا قد تهدم التصورات المسبقة، تماما كما فعلت أرندت وهي تنتقد بشكل عميق محاكمة أيخمان انطلاقا من ملاحظة تفصيلات في ديكور وترتيب القاعة الذي يوحي بالطابع المسرحي للمحاكمة الهادف لمحاولة الاستثمار السياسي في الحدث.

---

[32] حنة أرندت، "أيخمان في القدس: تقرير حول تفاهة الشر"،(الجزائر، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، 2014) ص 31

(2) البحث وراء العناوين

الأخبار اليومية ليست مجرد سيل من معلومات يختفي مع الخبر العاجل التالي، بل قد تشكل نافذة واسعة نحو حيوات بشرية متأثرة بأحداث ووقائع؛ إذ توجد وراء كل خبر عامّ قصةٌ أو قصص إنسانيّة فريدة تنتظر من يكشفها ويرويها.

كيف نستفيد من الأخبار اليومية للعثور على قصص إنسانيّة؟

• تخصيص حيّز زمني أسبوعي، للنبش عن قصص محتملة في الأخبار اليومية التي مرّت بشكل "غير ملحوظ".

• مقارنة التغطيات الخبرية عبر وسائل إعلام مختلفة لتحديد الزوايا التي لم يتطرق إليها أحد.

• تتبّع الأخبار الموسميّة وخفاياها؛ كارتفاع الأسعار في شهر رمضان، أو الأخبار المتعلقة بموسم الفيضانات أو الجفاف، والبحث عن زوايا جديدة في معالجتها تخرج عن المعالجة التقليدية المعتادة.

• متابعة الأخبار "المنسيّة"، عبر إنشاء قائمة بالقضايا التي حظيت باهتمام إعلامي ثم خفتت، والعودة إليها بعد فترة لاستكشاف تطوراتها، أو تأثيراتها طويلة الأمد.

"نار تتقد في داخلي": المغني الزامبي الذي تحدّى التحيّز وغيّر نظرة المجتمع للمهق[33]

زامبيا، موطني الذي ولدت فيه، بلد غالبيته من السود لكنني ولدت ببشرة بيضاء. منذ ولادتي أحسست أن شيئا ما مختلف فيّ، وأن العالم ينظر إليّ بعين الريبة والشك في أحيان كثيرة. لم يكن العالم وحده؛ بل عائلتي لم تتقبل أن ترى واحدا من أفرادها لا يشبهها! والداي انفصلا بعد ولادتي مباشرة، وعندما توفيت أمي أُرسلتُ للعيش مع والدي الذي تزوج من جديد.

كنت صغيرا جدا حين أدركت أنني سبب انهيار زواج والدي. شعرت بذنب كبير مذ وعيت ذلك، وكنت أردد في نفسي: "لو ولدت أسود - أو لم أولد أصلا - لكان والداي سعيدين". شعرت بالغربة منذ البداية، وبأنّ العالم لا يرحبّ بي كما أنا. الأوضاع في البيت كانت صعبة، خصوصا حين قرر والدي أن يرسلني إلى مدرسة داخلية. هناك، بدأت أرى بصيص أمل. المدرسة منحتني فرصة للعيش بسلام بعيدا عن الإحباط اليومي، وأدركت أن حياتي يمكن أن تتغير.

في إحدى العطل السنوية، بينما كنت أغني في الحي سمعني رجل وقال: "صوتك جميل، يجب أن تستمر". لم يكن أحد من قبل يشجعني على الغناء، لكنّ كلمات هذا الرجل كانت الشرارة التي أشعلت داخلي الشغف بالموسيقى. تعلمت العزف على الغيتار، وانضممت إلى فرقة موسيقيّة، وبدأت أحضر الحفلات والعروض، وأواصل تطوير موهبتي رغم كل العقبات.

[33] Sarah Johnson, 'A fire inside me': the Zambian singer who overcame prejudice to change attitudes to albinism The Guardian, Sep 13, 2023 (Accessed Dec 14, 2025) https://tinyurl.com/4xtekst8

(3) البيانات.. "كنز القصص"

قد تبدو البيانات والإحصاءات جافّة ظاهريا بالنسبة للباحث عن مواضيع قصص إنسانيّة شيّقة، غير أنها في الحقيقة تمثّل مصدرا هائلا للقصص بالنسبة للصحفي القادر على رؤية ما وراء المعطيات والبيانات الإحصائية، وتحويل الأرقام الجامدة إلى سرديّات حيّة تعكس تجارب الناس أو التحولات التي تطرأ على مجتمعاتهم؛ إذ إنّ في جوهر كل إحصائيّة مجموعة من التجارب الإنسانيّة تنتظر من يكشفها ويرويها.

من جانبها، يمكن أيضا أن تمثّل البحوث الأكاديمية مرجعاً للحصول على عدد من القصص الإنسانيّة، وحيثُ إنها مدعومة بمنهاج وتحليل علمي قد تحمل في طياتها رؤى عميقة عن حياة الناس والتحديات التي تواجههم.

إضافة إلى ما سبق، من شأن الحضور والمشاركة في الندوات الأكاديمية والأحداث العلمية أن يمثّل فرصة للتواصل مباشرة مع الباحثين والأكاديميين الذين ينتجون هذه البحوث والدراسات، والاستفادة من خبراتهم ومناقشة أعمالهم بشكل أوسع؛ لاستكشاف ما قد يفيدك بصفتك صحفيًّا.

التمكين المتوحّش

"رغم التغطية الواسعة التي حظيت بها قضية الغارمات في الأردن، لم يُدرس الواقع الذي دفع هؤلاء الناس لدخول دوامة من القروض الصغيرة التي هدّدت حريّة بعض هؤلاء النساء. في غور الصافي مزارعات ومعلمات وعاملات مياومة يروين قصتهن المعقدة مع مؤسسات الإقراض الأصغر التي سعت لتمكينهن وتخليصهن من الفقر، لكنها أدّت إلى تعميقه."

في تقرير على موقع مجلّة حبر، من إعداد الصحفيين شاكر جرّار، وعمر فارس من الأردن بعنوان "التمكين المتوحّش: كيف أنهكت القروض الصغيرة حياة النساء وعائلاتهن"[34] يتعرّف القارئ من خلال قصص إنسانيّة مدعومة بالبيانات على الواقع الذي خلقته بيئة الاقتراض الميسّر في الأردن وبرامج "التمويل الأصغر" التي أدّت إلى عكس النتائج التي بشّرت بها؛ فزادت من حدة الفقر، ووسعت من نطاق الأعمال الهشّة المستنزفة للناس ماديًا ونفسيًا.

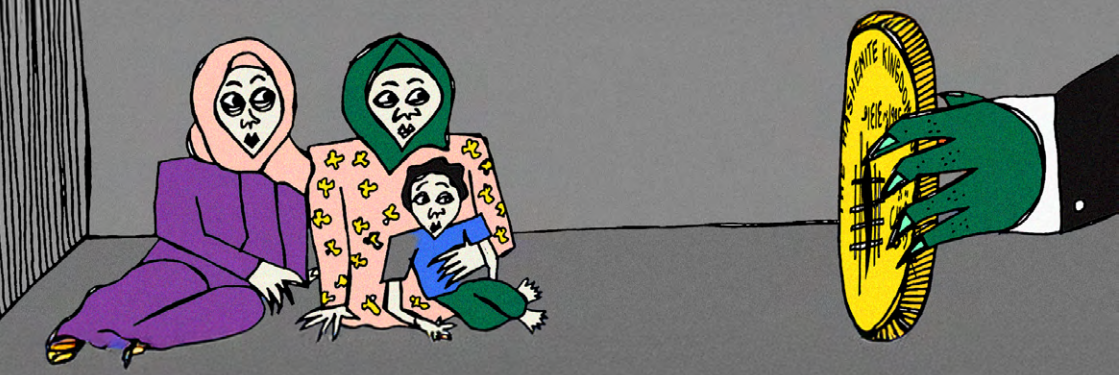

[34] شاكر جرّار، عمر فارس "التمكين المتوحّش: كيف أنهكت القروض الصغيرة حياة النساء وعلائلاتهن، مجلة حبر، 2 يوليو/تموز 2019 (تاريخ الدخول: 14 ديسمبر/كانون أول 2025) https://tinyurl.com/4thhst75

(4) شبكة المصادر

تبقى المصادر البشرية مرجعًا أساسياً لصحفي القصص الإنسانيّة، وبالتالي فإنّ بناء شبكة مصادر واسعة ومتنوعة وموثوق بها مصدرٌ لا غنى عنه في الوصول إلى قصص فريدة ومؤثرة قد لا تكون متاحة بطرق أخرى.

لتطوير هذه الشبكة، يمكن الانطلاق من التواصل المنتظم مع قادة وأعضاء المجتمع المحليّين؛ مثل رؤساء الجمعيات الناشطة وأعضاء المجالس المحلية، أو الشخصيات التي تحظى باحترام وموثوقية؛ مثل رجال الدين والأعيان ووجهاء المناطق الذين بإمكانهم أن يفتحوا أمام الصحفي أبوابًا مغلقة.

علاوة على ذلك، من الضروري لصحفي القصص الإنسانيّة بناء علاقات مع العاملين في خطوط التماسّ المباشر مع بعض الحالات الإنسانيّة؛ كالأطباء والممرضين والمدرّسين والمسعفين (في حالة الحرب والكوارث مثلًا)، إلى جانب المهنيين الآخرين مثل سائقي التاكسي وأصحاب المتاجر والحرفيّين، وغيرهم.. حيث يشهد كل هؤلاء يومياً مشكلات المجتمع وقصصه قبل أن تصل لوسائل الإعلام.

نصائح لإدارة شبكة المصادر:

- اسعَ لتمثيل جغرافي واجتماعي ومهني واسع ومتنوع يساعد في التعرف إلى زوايا جديدة.

- اعتنِ بالتواصل الدوري مع المصادر حتى مع غياب القصّة؛ فالعلاقات مع المصادر لا تبنى لحظة الحاجة فقط.

- كن واضحًا في تعريف نفسك وغرضك ولا تفرّط أبدًا بالتزاماتك المهنية بشأن خصوصية المصادر وحقوقهم.

- احتفظ بملاحظات دقيقة عن كل مصدر؛ عن خلفيته ومجال اطلاعه وتفضيلاته.

- تجنّب تكرار الاعتماد على مصدر واحد في قصصك.

كنتَ بمعيّة واحد من مصادرك التي كوّنت العلاقة بها خلال مسيرتك المهنية ثم ألقى معلومة اعتبرها عفوية تتعلق بنقص حادّ في مخزون الدم في المراكز الصحية. بعد البحث الأولي ومقاطعة المصادر، تبيّن أن الأزمة مزمنة وتهدّد آلاف المرضى بالموت. يمكن في هذه الحالة - إلى جانب المعطيات العلمية الدقيقة - مقابلة ضحايا أو عائلات عجزت عن توفير الدم للمرضى أو أنواع منه.

ليس بالضرورة أن تكون المعلومة المتأتّية من المصادر مقصودة وواعية، لكن من المهمّ أن يمتلك الصحفي حسّ الملاحظة والالتقاط والقدرة على تطوير القصص من مشاكل قد تبدو "معزولة" إلى ظواهر وأزمات تهدّد المصلحة العامة.

(5) وسائل التواصل الاجتماعي

باتت منصات التواصل الاجتماعي هي الأخرى مصدرًا أساسيًّا للصحفيين الباحثين عن خيوط قصص إنسانيّة جديدة وفريدة بعد أن أصبحت هذه المنصات أشبه بـ "لوحة إعلانات العالم" كما يصفها الصحفي إدوارد دراكوت،

تتيح الاطلاع على تجارب ملايين البشر وقصصهم، والوصول إلى حكايات وشهادات حية، متجاوزة الحواجز التي كانت تعيق مثل هذا التواصل في الماضي.

فمثلًا، قد تسمح منصة "إكس" - حيث يميل مستخدمو المنصة لنشر معلومات فورية عند وقوع الأحداث العاجلة - بالوصول إلى شهود عيان وقصص ناجين أو التواصل مع الأشخاص الموجودين في قلب الحدث بشكل سريع وآنيّ، وهو ما يتيح الفرصة لسبر بعض القصص الصحفيّة الإنسانيّة المميزة.

كما أن تتبّع بعض الوسوم (الهاشتاغ) على المنصة - كتلك المرتبطة مثلا بالكوارث والأزمات - قد يساعد في بناء شبكة من المصادر التي تقدّم زوايا مختلفة للحدث قد لا تغطيها وسائل الإعلام التقليدية، وهو ما يساعد على الوصول إلى قصص جديرة بالاهتمام بها والعمل عليها ونقلها للجمهور.

أمّا منصّة إنستغرام فتساعد في تتبّع تحرّكات الناس وأنشطتهم في أماكن محدّدة؛ كما حدث خلال جائحة كورونا عندما استُخدمت المنصة لتحديد المسافرين على أولى الرحلات الجوية بعد استئناف الطيران، وفقاً لدراكوت.

كما أن "تيك توك" - رغم طبيعته الترفيهية - من شأنه أن يساعد الصحفيين في الوصول إلى قصص جديدة أو غير مألوفة، بل يمكن للصحفي بطبيعة الحال أن يتتبع قصصًا على الهامش في المنصّة لا تحظى بالضرورة برواجٍ كبير، ليحظى بقصّة فريدة لم يتنبه إليها أحد.

(6) العمل الجماعي واجتماعات التحرير

تمثل جلسات العصف الذهني والتفكير الجماعي بين الزملاء في غرفة الأخبار مصدرًا مهمًا آخر محتملا لاكتشاف أفكار قصص إنسانيّة؛ إذ إنّ الصحفي المتخصص في الشؤون الاقتصادية مثلًا قد يرى زاوية إنسانيّة تغيب عن الصحفي الرياضي والعكس صحيح. فتعدّد الخلفيات والتخصصات داخل فريق التحرير يثري النقاش دومًا ويفتح آفاقًا جديدة للمعالجة الصحفية.

كما تتيح استشارة الصحفيين الأكثر خبرة في غرفة الأخبار أو تبادل الخبرات معهم فرصةً للاستفادة من تجاربهم في الكشف عن قصص لم تخطر على بالك، أو لفت انتباهك إلى زوايا معالجة جديدة لم تكن في الحسبان.

بعد أن تتوصّل إلى فكرةٍ أو موضوع لقصة إنسانيّة وتبدأ ملامحها الأولى تتشكل، تذكّر أن الحماس وحده لا يكفي، بل سيبقى من الضروري إخضاعها لمجموعة أسئلة قبل بدء العمل عليها؛ للإحاطة بمختلف أبعادها، ولضمان أنها تستحق الجهد والوقت والموارد اللازمة لإنجازها، وبالتالي تحديد مدى صلاحيتها.

من بين هذه الأسئلة التي ينصح بطرحها:

- هل تثير هذه القصّة شغفي حقًّا؟ هل سأرغب في قراءتها أو مشاهدتها لو لم أكن أنا من يعمل عليها؟

- هل تمثّل هذه القصّة حالة فردية أم تعكس نمطًا عامًّا لفئة أوسع؟ وهل يمكن أن يجد الجمهور فيها تقاطعًا مع نفسه أو مجتمعه؟

• ما الرسالة أو القضية الأكبر التي تطرحها القصّة؟ من هم المعنيون الأساسيون بها، سواء من حيث المصادر أو الجمهور المستهدف؟

• هل تتوافق مع الخط التحريري للمؤسسة الإعلامية التي أعمل فيها؟ أم تتعارض مع أولوياتها التحريرية أو توجّهاتها العامّة؟

مثل هذه الأسئلة الأساسية تعدّ محطّة للتفكير النقديّ التحضيريّ، تساعد الصحفي على اتّخاذ قرارٍ واعٍ ومدروس بعناية بشأن المضيّ في أي قصّة إنسانيّة جديدة، أو ربما إعادة النظر في زاوية المعالجة التي فكّر بها أو طريقة تناولها.

تذكّر: وراء كل قصة إنسانيّة ناجحة عدد من الأسئلة النقدية والتحليلية الصحيحة التي طرحها الصحفي قبل أن يباشر العمل عليها.

ثالثًا: الإعداد القبلي والاستعداد للميدان

بعد تحديد الفكرة وطرح الأسئلة الأساسية بشأنها، سيمرّ إنتاج القصّة الصحفية الإنسانيّة بمراحل متعددة ومتداخلة، تبدأ من الإعداد القبليّ، وتمرّ بالعمل الميداني وجمع المواد والمعلومات والشهادات، وصولًا إلى مرحلة الإنتاج والصياغة التحريرية والمراجعة.

(1) الإعداد القبليّ

الإعداد القبليّ قبل النزول إلى الميدان خطوة أساسية في مسار إنجاز القصّة

الإنسانيّة، وعامل حاسم في تحديد مدى نجاحها وجاذبيتها وجدواها، وتتمثل أهم مراحله في:

1) البحث التفصيلي:

يعد البحث التفصيلي أو ما يعرف باسم "البحث الخلفي" العميق مدخلًا أساسيًا لتحديد سير العمل في القصّة الصحفية الإنسانيّة وجمع موادّها الأولية من معلومات ومصادر وعناصر مرتبطة بالقصّة، والإحاطة بأبعادها وفهم امتداداتها المختلفة. ويتطلّب البحث التفصيلي الاهتمام بما يلي:

• جمع المعلومات حول الموضوع، بما يشمل سياقه العام والمعطيات التاريخية ذات الصلة.

• الرجوع إلى البيانات المختلفة المتوفرة في المصادر المفتوحة والخاصة، من إحصاءات وتقارير ووثائق، والتحقق منها.

• مراجعة التقارير الصحفية المنشورة سابقًا حول الموضوع (إذا وجدت)؛ لتحديد الفجوات أو الزوايا الغائبة أو العودة إلى مصادر اعتمدت عليها للتأكد منها.

• تحديد نطاق الشخصيات المحتملة ذات الصلة بالقصّة، والتعرف على خلفياتها الاجتماعية والثقافية والسياسية والنفسية.

2) تحديد زاوية المعالجة

اختيار الزاوية المناسبة لمعالجة القصّة ومقاربتها عامل رئيسي في إنجاحها يمنحها جاذبيتها التفسيرية الفريدة، بل يعد اختيار الزاوية المناسبة هو ما

يحوّل "الفكرة" إلى "قصّة" إنسانيّة مميزة. فيما يلي بعض الأسئلة التي تساعد على تحديد زاوية المعالجة:

- من هو/هي بطل القصّة؟ ولماذا؟
- ما الذي يجعل تجربتهم فريدة أو ذات مغزى واهتمام عام؟
- ما البعد الاجتماعي أو السياسي أو العاطفي الذي يمكن أن تمثله القصّة؟
- كيف سأقارب شخصيات القصّة وأحداثها؟
- هل هنالك تفاصيل شخصية فريدة يلزم البحث عنها والعناية بها؟
- ما الذي يمكن أن يضيف منظورًا جديدًا أو مفاجئًا للجمهور؟
- هل هنالك تناقض أو مفارقة ما في القصّة تجعلها أكثر جاذبية ومعنى؟
- ما الروايات الشخصية والمعلومات الموضوعية التي يلزم البحث عنها لضمان التوازن في القصّة؟

مثل هذه الأسئلة وسواها يساعد في تحديد وصقل زاوية المعالجة، وتجهيز الأرضية التي ستنطلق منها في الإعداد للقصة الصحفية الإنسانيّة الناجحة.

مثال تطبيقي:

لنفترض أنك تشتغل حول موضوع الهجرة غير النظامية بين الضفتين الجنوبية والشمالية للمتوسط، وبعد عملية البحث التفصيلي الأولية تبين لك أنّ ثمة زوايا مختلفة يمكن أن يعالج من خلالها الموضوع: شبكات التهجير، أرقام الموتى، الهجرة من دول جنوب الصحراء إلى شمال أفريقيا.

لكنك لاحظت أن هذه الزوايا مستهلكة، فاخترت أن تعالج الموضوع من زاوية مغفلة، وهي خطاب العنصرية والكراهية الذي يتعرض له المهاجرون الأفارقة أصحاب البشرة السوداء في بلدان العبور؛ مثل تونس والمغرب والجزائر.. نحن هنا أمام زاوية غير مطروقة أو ربما عولجت بشكل سطحي في تقارير سابقة، لكنها ستعطيك مدخلًا إنسانيًا مختلفًا وجادًّا للقصة.

في هذه الحالة، ينبغي على الصحفي الاقتراب من القصّة عبر تحديد الشخصيات الرئيسية فيها؛ أي ضحايا العنصرية من المهاجرين الذين عانوا من هذا الخطاب وممارساته إما من قِبل أفراد في المجتمع أو من قبل الإدارات الرسمية، ثم تحديد الفضاء المكاني، خاصة أن التجربة تُظهر أن هؤلاء المهاجرين يتجمعون في أحياء معينة تعاني عادة من التهميش والإقصاء، ثم ربط القصّة بأدلة وسياق أوسع يكشف على نحو سردي إنسانيّ واقع العنصرية البنيوية، أو السياسات الأمنية المجحفة بحق المهاجرين والتجاوزات الواقعة عليهم. باختصار يجب وضع سؤال دقيق أو مجموعة أسئلة تساعد على تأطير قصتك الصحفية الإنسانيّة لتحقيق الغاية المقصودة منها.

ويعتمد تحديد الزاوية التي يريد الصحفي أن يعالجها في قصته أساسًا، على رؤيته الشخصية وقدرته على الوصول للطريقة الأمثل التي يمكن أن تجلب الاهتمام إلى قصته وتساعد القارئ والمشاهد على فهم أثرها وتأثيرها، وأيضا التفاعل معها.

ويمكن أن يرتبط هذا الاختيار بسياق النشر؛ فإذا كانت القصّة ترتبط بأحداث جارية أو طارئة يمكن البحث عن الجوانب الجديدة غير المعروفة أو الفريدة التي تميّز تجربة أو قصة هذا الشخص في ارتباطه بهذه الأحداث، سواء تأثيره فيها أو تأثره بها، بحيث توضّح القصّة الآثار الواسعة وتداعيات

هذا الحدث عليه، ومن خلاله على باقي أفراد مجتمعه، وأيضا تعزّز فهمهم لها بشكل أعمق.

أما إذا كانت القصّة بعيدة عن الأخبار والأحداث الآنية فيمكن التركيز في معالجتها على إبراز الجوانب الشخصية؛ مثلا النجاحات والإخفاقات التي واجهها بطل القصّة، أو التحديات والصعاب التي يمرّ بها، بحيث تحقّق القصّة غاياتها الأساسية في نقل تجربة هذا الإنسان إلى أشخاص آخرين.

في شهر سبتمبر/ أيلول 2023، كانت قرى وبلدات بجبال الأطلس الكبير - وسط المغرب - شاهدةً على قصص وتجارب أليمة لآلاف الأشخاص والأسر بعد الزلزال المدمّر الذي ضرب المنطقة؛ حيث ركّزت وسائل الإعلام المحلية والدولية المختلفة تغطيتها لنقل ورصد حكايا الزلزال وتداعياته على لسان الناجين.

قصّة خالد

خالد جعا، ناجٍ من قرية بنواحي تارودانت جنوبيّ المغرب، فقد 11 شخصا من أفراد أسرته في كارثة الزلزال، انتشل بيديه جثث أقاربه الراحلين وساعد في جهود إنقاذ جيرانه من تحت الأنقاض وانخرط بعد ساعات من الواقعة في مساعي إغاثة المنكوبين.

في تغطية قصّة هذا الرجل المكلوم، تنوعت زوايا المعالجة الصحفية من وسيلة إعلامية إلى أخرى ومن صحفي إلى آخر؛ فيما سلّط موقع الجزيرة نت[35] الضوءَ على مشاعره وأحاسيسه بعد الحادثة التي أودت بأفراد عائلته، وأيضا

---

[35] محمد أعماري، خالد جعا.. قصة رجل فقد 11 من أفراد أسرته في الزلزال بتارودانت، الجزيرة نت، 13 سبتمبر/أيلول 2023: https://tinyurl.com/5eu8wtc6

تفاصيل لحظات ما قبل الزلزال ومسارعته بعد الهزّات المدمّرة إلى انتشال جثث أقاربه من تحت الأنقاض. صحف مغربية ركّزت على الصلابة والصمود اللذين أظهرهما خالد في مواجهة هذه المأساة وانضمامه إلى جهود إنقاذ الجيران وباقي أفراد القرية العالقين تحت الأنقاض في الساعات التي أعقبت هذه الكارثة الإنسانيّة.

ويمكن أيضا أن تذهب تغطيات أخرى بعد أيام من الحادثة للحديث معه عن تفاصيل يومياته ومعيشته مع أهله وعلاقته بقريته أو بيته المنهار، أو أيضا أحلام طفلتيه اللتين قضتا في هذه الحادثة، وآخر خططهم للسفر في العطلة المدرسية مثلا.

خيارات زاوية المعالجة

اختيار زاوية المعالجة المناسبة لا يرتبط بمجرد البحث الاعتباطي عمّا هو مختلف، بل عمّا هو ممكن ومؤثر وأكثر اتساقًا مع مبادئ المهنة الصحفية وأخلاقياتها وأهدافها. وفيما يلي اعتباران أساسيان ينبغي مراعاتهما في هذا السياق:

(1) اختيار وجهة نظر أصلية: يتعلق الأمر بالعثور على زاوية فريدة، زاوية غير معتادة، تلفت انتباه القارئ وتنجح في إثارة فضوله واهتمامه عبر كسر القوالب والمعالجات المكرّرة، حتى عند التعامل مع موضوع قد يبدو مستهلكًا. اختارت قناة "إم 6" الفرنسية زاوية أصيلة في معالجة موضوع الرياضات القتالية في داغستان. ترتبط المنطقة باسم المقاتل "حبيب نورماغوميدوف"، وتأثيره على جيل كامل من الشباب، فأنجزت قصة "المقاتلون المتطرفون" (Chez les combattants de l'extrême) التي تركز بشكل مكثّف على

القصص الإنسانيّة لشباب يحلمون بالوصول إلى العالمية ولو بتداريب قاسية تكاد تقترب من حدّ "الموت" من شدّة تطرّفها.

(2) اختيار الزاوية الأكثر قابلية للتنفيذ: بالنظر إلى المصادر والوقت والوسائل والموارد المتاحة (خاصّة التقنيّة والماليّة) يجب دراسة قابلية التنفيذ قبل بداية البحث. لذلك يلزم الصحفي أن يطرح هذه الأسئلة الأساسية:

- هل أملك الوسائل والموارد البشرية والتقنية والزمنية والمالية اللازمة لإنجاز هذه القصّة على النحو المطلوب؟

- هل يمكن الوصول إلى الشخصيات المعنية بشكل أخلاقي وآمن؟

- هل تسمح القوانين المحلية أو الأوضاع السياسية القائمة بمعالجة هذا الموضوع من تلك الزاوية المحدّدة؟

- هل يمكن حماية المصادر والحفاظ على سلامة الصحفي أثناء العمل على القصّة؟

ثمة معطيات واقعية في العديد من دول العالم - بما فيها المنطقة العربية - تشير إلى أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية القاحلة قد تحول دون إنجاز تقارير صحفية ضرورية وفارقة[36]، وتبعًا لذلك يلزم استحضار القاعدة الصحفية المعروفة وهي: أن لسلامة الصحفي الجسدية والذهنية أولوية على تنفيذ القصّة.

---

[36] انظر، محمد أحداد، السرد الصحفي لا ينبت في البلدان السياسية القاحلة، مجلة الصحافة، 6 يونيو/حزيران 2022 https://institute.aljazeera.net/ar/ajr/article/1915.

3) التواصل مع شخوص القصّة

يتطلب العمل على القصّة الصحفية الإنسانيّة اهتمامًا بالتواصل مع الفاعلين الأساسيين في القصّة، سواء كانوا شهودًا عليها أو مشاركين فيها. ينبغي مثلما هو معلوم الحصول على موافقة أي مصدر لتسجيل المقابلات معهم و/أو تصويرها، مع محاولة إقناعهم بذلك إن كانوا متردّدين، لكن بلطف وحكمة وضمن ما يتوافق مع المبادئ المهنية المرعيّة. وصحيحٌ أنّ الصحفي يدرك أنه "لا يوجد رفض نهائيّ على الإطلاق" لكنه مع ذلك يراعي حدوده وحدود الآخرين وتفضيلاتهم وخصوصياتهم، ويعتني بشرح الغايات من وراء إنتاج القصّة وطريقة تنفيذها بشكل واضح ومهني، خاصةً فيما يتعلق بموعد اللقاء وأماكن التصوير وطبيعة الأسئلة العامة أو التفصيلية التي ستطرح، وذلك من أجل بناء الثقة مع المصادر وأبطال القصّة وطمأنتهم.

4) ضرورة التنسيق

في القصّة المصورة، أو التي تتطلب وجود مادة مصوّرة فيها، ينسق الصحفي مع فريق العمل لوضع تصور نظري لبناء القصّة يركز على المشاهد الأساسية التي ينبغي التقاطها في مرحلة التصوير، ويضع فرضيّات حول آليات إعدادها وتنفيذها، مع التأكد من توفّر الأدوات التقنية اللازمة للاستجواب، والحصول على التراخيص القانونية الضرورية قبل التصوير. أما في حال كانت القصّة مكتوبة فيقع على عاتق الكاتب وضع تصور عن قصته بناء على المعلومات التي يتوفر عليها والشخوص الذين سيقابلهم؛ لتحديد كافة الترتيبات التي تلزم لمرحلة التنفيذ.

قبل النزول إلى الميدان

تنبّه: في هذه الحالة، لا يكفي مجرد الحصول على الموافقة "الشكلية" من المصدر، سواء كان هو بطل القصّة أو أحد الشهود عليها أو الفاعلين فيها، بل

يجب التأكد من أنه يدرك تمامًا تبعات حديثه لصالح القصّة، وأنه وافق على المشاركة فيها عن وعي وقناعة، ومن دون ممارسة أي تضليل أو ضغط عليه.

تنبّه: في بعض الحالات، قد تكون لسلامة المصدر وأمنه الشخصي أولوية تفوق أهمية القصّة. هنا ينبغي على الصحفي الالتزام بالمعايير المهنية والأخلاقية المعمول بها لاتخاذ القرار المناسب، سواء تطلب ذلك إخفاء هوية المصدر، أو تعديل بعض التفاصيل، أو حتى الامتناع عن إتمام القصّة أو نشرها. مسؤولية الصحفي تجاه المصادر لا تقل أهمية عن إحراز سبق صحفي أو إنجاز قصة صحفية إنسانيّة متميزة.

رابعًا: النزول إلى الميدان

يعدّ النزول إلى الميدان والانخراط فيه وتشكيل الألفة الصحفية معه حجرَ زاوية في بناء القصّة الصحفية الإنسانيّة الناجحة. فالنزول إلى الميدان هو مساحة لاختبار الفرضيّات الأولى والتحقّق منها، وهو المكان الذي يمكن فيه إعادة النظر في زاوية المعالجة الأولية التي قد يكون الصحفي قد وضعها في بحثه الأولي، وهو الفضاء الذي يتجرد فيه الصحفي من أحكامه المسبقة حول المواضيع التي يريد العمل عليها.

كما يتيح النزول إلى الميدان استخدام "الحواس الخمس" وتفعيلها وتركيزها؛ وذلك لالتقاط التفاصيل المختلفة، واللقاء مع الشهود والضحايا، والاستماع إلى حكايا الناس وملاحظة انفعالاتهم ونظراتهم. كل ذلك قد يزعزع قناعات الصحفي عن موضوع معين أو انطباع سابق ما. هذا التغيّر المحتمل في زاوية المعالجة أو تعديلها أثناء العمل في الميدان ليس خرقًا لقاعدة مقدّسة في قواعد

العمل، بل هو قرار محتمل يتوقّف اتخاذه على قدرة الصحفي على الملاحظة وانفتاحه على ما يمنحه له الميدان من تفاصيل ومعطيات جديدة، واستعداده للانغماس في قصته؛ لتكشف له عن كنهها الحقيقي، لا أخذها كما يريدها هو أن تكون.

لنفترض أنك تريد إنجاز قصة صحفية عن المهاجرين غير النظاميين الذين ينطلقون من ليبيا إلى إيطاليا، وحدّدت مسبقا بعد البحث والتقصي وحشد شبكة مصادرك زاويةَ المعالجة، أو "الفرضية" القائمة على وجود "مافيا منظمة" للتهريب تطلب من المهاجرين مبالغ باهظة مقابل تهجيرهم. لكن بعد النزول إلى الميدان اكتشفت أن المهاجرين ينظمون رحلاتهم بأنفسهم دون اللجوء إلى الوسطاء. هنا تنهار الفرضية الأصلية، وتتغير بالضرورة زاوية المعالجة بناء على الملاحظة والمعاينة الميدانية، وهي أدوات منهجية قادمة من العلوم الاجتماعية، لا على الافتراض والأحكام المسبقة.

إجراء المقابلة في القصص الصحفية الإنسانيّة:

هناكَ ثلاث مراحل أساسية ينبغي اتّباعها من أجل إنجاز مقابلة ناجحة في سياق الإعداد لقصة صحفية إنسانيّة، والإخلال بأي منها يؤثر على معطيات القصّة ويخلّ بصدقها وجودتها.

1- مرحلة ما قبل المقابلة: التحضير

التحضير السابق للمقابلة هو الضامن الأول لجودة عملك الصحفي ومدى جدّيته، ويلزم أن يعتني بالنواحي الآتية:

- التفكير ضمن زاوية المعالجة والسؤال المركزي للقصة

على الصحفي أن يحدّد جوهر القضية التي يريد الاشتباك معها والجوانب التي ستساعده المقابلة على سبرها واستكشافها.

مثال: إذا كانت القصّة عن أرملة فقدت زوجها في حادث منجمي، فقد يكون السؤال المحوري: كيف تعيش الأرامل في المناطق المنجمية الهامشية بعد فقدان المعيل؟

- جمع المعلومات ومعرفة السياق

لا تعتمد على شهادات المصادر وحدها. المقابلة الناجحة تتطلب الاطلاع الجيد على تقارير رسمية، ودراسات اجتماعية واقتصادية، أو شهادات وقصص مماثلة، وذلك كي لا يظل الصحفي رهين الرواية الفردية، ولكي يتمكّن من مساءلتها وكشف الفجوات فيها.

مثال: قبل مقابلة شخص يعاني من فقدان السكن، يجب الإلمام بسياسات الدولة في السكن، وبرامج إعادة الإيواء في منطقته، والتعرّف على تفاصيل السياق العام للمشكلة وخلفياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

- اختيار الشخصية الأنسب للسرد

على الصحفي أن يبحث عن المصادر الأكثر اتصالًا بالتجربة موضوع القصّة والمنخرطة فعليًا بها؛ لأن ذلك سيساعد في ضمان إيصال صوتها للجمهور المعنيّ.

مثال: في قصة عن الهجرة غير النظامية، يمكن اختيار شاب عاد مؤخرًا من تجربة فاشلة، أو أمّ فقدت ابنها في عرض البحر.

- إعداد لائحة مرنة من الأسئلة

رتّب أسئلة المقابلة في محاور زمنية (قبل الحدث، أثناءه، بعده)، مع ترك مساحة للارتجال والتداخل تبعًا لتفاعلات المتحدث، ومراعاة الطابع العاطفي لبعض الأسئلة.

- التواصل الأوليّ

على الصحفي تأسيس التواصل الأولي مع المصدر قبل المقابلة بأسلوب مهنيّ يحترم الخصوصية والكرامة، مع الالتزام بتوضيح أهداف المقابلة واستعمالاتها المحتملة.

مرحلة ما
قبل المقابلة
التحضير
التفكير
ضمن زاوية
المعالجة
اختيار
الشخصيات
الأنسب
جمع المعلومات
وفهم السياق
إعداد لائحة
مرنة من
الأسئلة
التواصل
الأولي

2- أثناء المقابلة

في هذه المرحلة يكونُ الصحفي أمام التجربة الإنسانيّة مباشرة، وعليه لذلك أن يتقن قواعد الإنصات والتفاعل التي تتيح له الاستفادة منها بالقدر الأقصى. هنا ينبغي امتلاك حساسية للاهتمام بأدقّ التفاصيل مهما بدت غير مهمة لعناصر القصّة أو بعيدة الصلة بها؛ فالعكس عادة هو ما يحصل. اتبع القواعد الآتية:

- خلق جو من الثقة والاحترام المتبادل

يتوجب على الصحفي أن يُظهر قدرًا كبيرًا من التواضع، وأن يُشعر المتحدّث بالأمان لسرد قصته.

نصيحة عملية: تجنّب الأسئلة المزعجة في البداية، واستأذن قبل التسجيل أو التصوير.

- التدرّج في طرح الأسئلة

ابدأ المقابلة بالأسئلة العامّة والأساسية (مثل الاسم، العمر، المهنة...) لتهيئة المتحدث وإدخاله في جو المقابلة، ثم انتقل تدريجيًا إلى الأسئلة التفصيلية لسبر الجوانب العميقة من التجربة.

مثال:

- حدّثني عن يومك العادي قبل أن يقع الحادث؟
- ماذا تغير في حياتك بعد ذلك؟
- ما أصعب لحظة مررت بها؟

نصيحة عملية: استعن بقائمة الأسئلة المسبقة التي لديك، لكن كن مرنًا

بالقدر الذي يتيح لك استكشاف مسار القصّة وجوانبها المختلفة.

- الإنصات النشط وملاحظة ما وراء الكلام

لا يقتصر الإنصات على ما يُقال فقط، بل يجب الانتباه إلى لحظات الصمت، والنظرات، ونبرة الصوت، والانفعالات غير المنطوقة؛ لأنها قد تؤدّي إلى كشف عناصر وأبعاد جديدة في القصّة.

مثال: قد يقول شخص فقدَ أحدَ أفراد أسرته "أنا بخير"، لكن نبرة صوته المرتعشة تدلّ على العكس. يستدعي هذا سؤالًا لاحقًا بلغة متفهمة. يمكن في هذه الحالة طرح سؤال استدراكي: "هل هناك لحظة شعرت فيها أنّ الأمور كانت أصعب مما توقعت؟"

- احترام خصوصية المتحدث ومراعاة هشاشته

في القصص التي تنطوي على تجارب مؤلمة أو صادمة، يجب عدم الإلحاح وتجنّب اللجوء إلى أسئلة ذات طابع استجوابي. دع المتحدث يشارك تفاصيل قصته في إطار آمن، وبما يحترم خصوصيته وكرامته.

- توجيه الحوار ضمن إطار القصّة

يميل المتحدث في المقابلة - خاصة من عاش تجربة قاسية - إلى الاسترسال بعفوية عاطفية، وقد يروي تفاصيل كثيرة أو قصصًا غير متوقعة وغير ذات صلة. من الأفضل أن تساعد شخصيتك على فهم زاوية المعالجة في قصتك؛ لتوجيه الحديث تلقائيًا لخدمتها.

- السؤال عن شخوص أو شهود آخرين

استفسر عن أشخاص آخرين ذوي صلة بالقصّة قد يقدّمون إضافة إليها،

مثل أفراد من العائلة أو أصدقاء أو شهود آخرين شاركوا في التجربة أو انخرطوا بها. قد يساعدك ذلك على استكشاف جوانب جديدة تثري قصتك.

- ترك قنوات التواصل مفتوحة

بعد انتهاء المقابلة، اترك الباب مفتوحًا للتواصل مع المصدر؛ للتحقّق من بعض المعطيات والتفاصيل التي قد تحتاج إلى التأكّد منها من مصادر أخرى.

أثناء المقابلة
التدرّج في طرح الأسئلة
الإنصات النشط وملاحظة ما وراء الكلام
خلق جو من الثقة والاحترام المتبادل
ترك قنوات التواصل مفتوحة
احترام خصوصية المتحدث ومراعاة هشاشته
السؤال عن شخوص أو شهود آخرين
توجيه الحوار ضمن إطار القصّة

المقابلة الإثنوغرافية

لا تقتصر المقابلة الصحفيّة على طرح أسئلة مباشرة وتلقي إجابات مختصرة عنها، بل يمكن أن تتحوّل إلى تجربة ميدانية معمّقة في اللحظة التي يقرر الصحفي اعتماد "المقابلة الإثنوغرافية"، وهي تقنية بحثية تُوظَّف في عدة حقول اجتماعية وثقافية وغيرها من الحقول؛ إذ تمثّل أداة إستراتيجية عميقة تُوظَّف لإنتاج محتوى فريد ومثير للاهتمام.

تعتمد المقابلة الإثنوغرافية على المعايشة اللصيقة بالتجربة والاستماع المفتوح لشخصيات القصّة في بيئاتها الحقيقيّة، كما أنها قد تتجاوز المقابلة بالمعنى التقليدي؛ فهي ليست جلسة سؤال/جواب، بل هي عملية استكشاف ثقافي واجتماعي تهدف إلى فهم التجربة الإنسانيّة في سياقها الأوسع.

تسعى "المقابلة الإثنوغرافية" إلى التقاط العالم المعيش (اليومي) للشخصية، فهي ترصد: كيف تفكر الشخصيّة، وكيف تتفاعل وتتواصل مع محيطها، دون أن يغفل الصحفي تفاصيل المكان والزمان وصلاتهما بالشخصيّة.

1- خطوات إجراء المقابلة الإثنوغرافية

على الصحفي الذي يُوظِّف "المقابلة الإثنوغرافية" أن يسترشد بهذه الخطوات:

- **قبل النزول إلى الميدان (التحضير المسبق)**

ينطلق الصحفي أولا من جمع المعطيات الأولية عن المجتمع أو الشخصية الرئيسة، والتعرف إلى السياق الثقافي والاجتماعي؛ كي يتوفّر على دراية

أولية عن الميدان (المجال) الذي يشتغل فيه، وهو ما يتيح له إمكانية طرح أسئلة ملائمة وتجنّب الأحكام المسبقة.

• أثناء النزول إلى الميدان (المعايشة والملاحظة)

لا يقتصر الأمر على طرح الأسئلة، بل يتطلب من الصحفي قضاء وقت مع الشخصية أو الشخصيات في بيئتها الطبيعية (الملاحظة بالمشاركة): في البيت، وفي العمل، أو في الفضاءات العامة.

الهدف هو: التقاط التفاصيل الدقيقة التي لا تظهر في الحوار المباشر (إقامة علاقات اجتماعية مع الأشخاص).

• طرح أسئلة مفتوحة

تُبنى المقابلة على أسئلة واسعة (وقد تكون عفوية) تحفّز الشخصية على السرد؛ مثل: "صِف لي يومك العادي" أو "كيف تتذكّر تلك اللحظة؟" هذه الطريقة تساعد في توليد رواية ثريّة بتفاصيلها الغنيّة، بدل الاكتفاء بإجابات مختصرة أو مختزلة.

• الإنصات العميق

دور الصحفي هنا يتمثل في الاستماع أكثر وترك مساحات واسعة للحكي، والتفاعل أحيانا مع طبيعة ورواية الشخصية؛ لأن الإنصات الفعال يمكّن من التقاط المشاعر واللغة غير اللفظية (النبرات، الصمت، الإيماءات... إلخ).

• **العناية بالتفاصيل**

يستحسن الجمع بين الملاحظات المكتوبة، والتسجيلات الصوتية، والصور أو رسم خرائط المكان؛ فالتفاصيل المكانية والزمانية لها دور كبير في تشكيل عناصر القصّة.

• **الخروج من الميدان (المراجعة وإعادة القراءة)**

يعود الصحفي إلى ملاحظاته بعدَ المقابلة ليعيد ترتيبها في ضوء الأسئلة الجوهرية للقصة. هذه المرحلة مهمّة لتصفية التفاصيل الثانوية، والإبقاء على العناصر التي تخدم الأبعاد الإنسانيّة في القصّة.

2- المعايير الأخلاقية في المقابلة الإثنوغرافية

لا تقتصر المقابلة الإثنوغرافية على ما يقوله الأفراد، بل تكشف أيضا عن السياقات والعلاقات والتفاصيل اليومية التي تشكّل تجربتهم، وتعطي معانيَ متدفقة ثرية (إنسانيّة، اجتماعية، ثقافية... إلخ)، وتتيح إمكانيات كبرى لتفسير: لماذا؟ وكيف؟ ومتى؟ لكن لا ينبغي تجاوز معايير أخلاقية دقيقة تراعي حساسيّة هذا النوع من المعايشة الميدانية.

• **الموافقة المستنيرة:** إخبار الشخصيات بوضوح بطبيعة القصّة وكيف ستُوظَّف شهاداتهم وصورهم.

• **حماية الخصوصية:** احترام ما يعتبره الأفراد تفاصيل شخصيّة وعدم نشرها دون إذنهم.

• **التمثيل العادل:** نقل التجربة بصدق بعيدا عن التضخيم أو الاختزال.

• **تجنّب الاستغلال العاطفي:** عدم استثمار المآسي لجذب الجمهور فقط.
• السلامة النفسية: التعامل بحساسية مع قصص الصدمات والحروب والفقدان، وتجنّب إعادة إحياء الجروح المؤلة.

سأحكي قصتك.. حكايات التنزانيين المصابين بالمهق[37] / I Will Tell Your Story" – Portrait of Tanzanians with Albinism القصّة مأخوذة من بحث إثنوغرافي أصيل، تحوّلت إلى قصة إنسانيّة قوية.

ملخص القصّة: في شمال تنزانيا، حيث الشمس حارقة والنظرات قاسية، يعيش أطفال ولدوا ببشرة مختلفة (المهق)، يلاحقهم التمييز والخوف منذ لحظة ولادتهم. على مدى سبعة أشهر بين عامي 2021 و2022، انتقلت الباحثة والصحفية لينا رامون إلى تنزانيا؛ لتشارك في صياغة تفاصيل قصص يومية عن أناس يعانون كل يوم. "انغمست" لينا في العديد من تفاصيل حياتهم اليومية، رافقتهم في الأسواق، اشترت معهم الخضر والفواكه، تحلّقت حولهم في مائدة واحدة، وفي العديد من التفاصيل الأخرى... لقد عاشت التجربة كاملة.

والحال أن رحلة لينا لم تكن مجرد إقامة عابرة، بل محاولة لمساندتهم وفهم عميق لمعاناتهم لكي تحكي قصتهم للعالم وتساهم في تسليط الضوء على معاناتهم. تقول لينا: لكنّ السؤال الذي ظل يطاردني كل يوم: كيف أروي حكاية هؤلاء الأطفال من دون أن أجرّدهم من كرامتهم؟ كيف أكتب عن ضعفهم من دون أن أختزلهم في صورة الضحايا؟

---

[37] Linnéa Román, I Will Tell Your Story" – Portrait of Tanzanians with Albinism, Making and Using an Ethnographic, 2022, https://tinyurl.com/t3asu8cc

خامسًا: العمل على إنتاج القصّة

بعد إنجاز مرحلة البحث وتقصّي السياق والخلفيات وإجراء المقابلات، تأتي مرحلة بناء القصّة الصحفية وكتابة مسوّدتها؛ أي تحويل المادة الخام التي لديك - ضمن زاوية المعالجة المحدّدة - إلى قصة مكتوبة ومتماسكة.

نصيحة عملية: تأكّد قبل البدء بهذه المرحلة أيضًا من تفريغ المقابلات بدقّة ومراجعتها، وتحديد أي فجوات فيها لاستدراكها. يمكن الاستعانة ببرامج آلية موثوقة لتفريغ المقابلات، منها:

- **أوتر إيه آي (Otter.ai)**
- **سونيكس (Sonix)**
- **هابي سكرايب (Happy Scribe)**
- **جوجل بينبوينت (Google Pinpoint)**

تذكّر أن استخدام أدوات تفريغ النصوص لا يعني عدم مراجعتها يدويًا وضبطها، خاصة في المقابلات التي تحتوي على لهجات محليّة أو كان تسجيلها منخفض الجودة بسبب ظروف المقابلة ومكانها.

احتفظ دائمًا بنسخة مؤرشفة من المقابلات تشتمل على الملف الصوتي الأصلي والنسخة الكاملة من التفريغ الصوتي، وذلك للعودة إليها في حال نشأت أي حاجة للتحقّق مجددًا من الاقتباسات المضمّنة في القصّة.

1) العناصر الأساسية في بناء القصّة

رغم التنوّع الواسع في الموضوعات واختلاف زوايا المعالجة في القصص، تبقى هنالك عناصر أساسية يُبنى عليها سرد القصّة الصحفية الإنسانيّة تبقى ثابتة عمومًا، وهي:

1) **البطل:** الشخصية المحوريّة التي يختبر القارئ القصّة من خلالها.

2) **الحدث:** أي ما وقع فعلًا، مع تفاصيله الدقيقة التي تمنح السرد حياة وأبعادًا لا تغطيها التقارير الإخبارية عادة.

3) **الصراع أو التوتّر:** ما هو على المحكّ في القصّة، وهو زاوية معالجتها التي اختارها الصحفي، والتي تجعل القصّة تتقدّم وتشدّ القارئ.

4) **المحور السرديّ:** أي الخيط الذي يربط جميع العناصر ويضفي على القصّة انسجامًا واتّجاهًا منطقيًا واضحًا.

5) **الشخصيات الثانوية:** التي تثري السرد وتقدّم شهاداتٍ وتجارب تضيء على أبعاد إضافية.

إليك كيفية تطبيق هذه العناصر في القصّة الصحفية المكتوبة:

- **البطل**

البطل هو الشخص الذي تدور حوله أحداث القصّة، هو الذي يروي تجربته أو يعكس القصّة من خلال مشاعره ومعاناته أو نجاحه. في القصّة الإنسانيّة

يكون البطل عادة فردًا يواجه تحديات شخصية أو اجتماعية، وتهدف القصّة إلى عرض رحلته في تجاوز هذه الصعوبات. من المهمّ أثناء كتابة القصّة أن تُستحضَر أبعاد البطل النفسية والجسدية والاجتماعية لتساعد القارئ على التعاطف مع الشخص أو الشخصية، وفهم معاناته بشكل أعمق.

مثال: في القصّة الإنسانيّة، قد يتم تقديم شخصية شاب فقد القدرة على المشي نتيجة حادث سير، ولكن القصّة تركّز على كيفية تحديه للظروف الصعبة وإصراره على ممارسة الرياضة وتحقيق الإنجازات.

• الحدث: الأساس الذي يحدّد تطوّر القصّة

الحدث هو العنصر الذي يدفع القصّة إلى الأمام. لا يمكن وجود قصة بدون حدث محوري يغيّر حياة البطل أو يؤثّر فيه بشكل كبير. يجب أن يكون الصحفي قادرًا على ربط الحدث بشكل وثيق بالبطل، مع التركيز على كيفية تأثير هذا الحدث على حياته، سواء كان تأثيرًا إيجابيًا أم سلبيًا. ويشمل ذلك تفاصيل الحدث ومكانه وتاريخه وكيفية وقوعه.

مثال: قد تبدأ القصّة الإنسانيّة المكتوبة بتفاصيل حادثة مؤلمة في حياة البطل؛ مثل تعرضه للطرد من المدرسة بسبب إعاقته، وهو ما يسلّط الضوء على التمييز الذي يعانيه هذا الشخص في المجتمع.

• الصراع: الخيط الرابط بين البطل والحدث

الصراع هو العنصر الأكثر تأثيرًا في القصّة؛ إذ يمثّل التحدي أو الصراع الداخلي أو الخارجي الذي يواجهه البطل بسبب الحدث الذي وقع له. هذا الصراع يمكن أن يكون ماديًا أو جسديًا، لكنه قد يكون أيضا صراعًا نفسيًا أو اجتماعيًا. يُعد الصراع المحرّك الرئيسي الذي يعكس المكوّن الإنساني للقصة ويشجّع

القارئ على مواصلة القراءة، خاصّة إذا كان الصراع يتضمن مشاعر أو تحديات مشابهة لما يعيشه القارئ في حياته اليومية.

مثال: يمكن تناول الصراع النفسيّ الذي يصيب الناجين من الحروب أو الكوارث الذين يعانون باستمرار - رغم نجاتهم الجسدية - من ذكريات الحادث وتبعاته النفسية.

• **الشخصيات الثانوية:** إثراء القصّة من خلال الشهادات والتجارب الأخرى للشخصيات الثانوية دور مكمّل للبطل، يساهم في إثراء القصّة وتوسيع أفقها، وإضافة زوايا جديدة للسرد؛ إمّا باعتبار تلك الشخصيات شهودًا على الأحداث أو مساندين للشخصية الرئيسية، أو أطرافًا متأثرين بالقضية بطرق مختلفة. في الصحافة الإنسانيّة، يمكن أن تقدِّم الشخصياتُ الثانوية شهاداتٍ حيّةً تعزز فهم القارئ للأبعاد الاجتماعية أو العاطفية الأوسع للقصة.

مثال: في قصة عن طفل تعلّم لغة الإشارة ليتواصل مع جدّه وجدّته المصابَين بالصمم، الشخصية الرئيسية هي الطفل الذي يتحدّث عن تجربته، لكن الشخصية الثانوية المساندة قد تكون والده الذي يروي كيف أصبح الطفل قادرًا على تعلّم لغة الإشارة ونشر معرفته عبر الإنترنت.

تدريب 1:

في المثال السابق، هل يمكن التفكير بشخصيات ثانوية أخرى تساعد في تطوير القصّة؟

أنواع الشخصيات الثانوية في القصّة الإنسانيّة:

1) شاهد على الحدث.
2) مساند للشخصية الرئيسية.
3) خبير أو مختصّ.
4) شخص متأثر بالقضية من زاوية مختلفة.

تدريب 2:

اختر قصة صحفية إنسانيّة واقعية أو متخيلة، مثلا: (فتاة ناجية من الحرب في غزّة، وظلت وحيدة بعد استشهاد جميع أسرتها، أو طالب ينتمي لأسرة فقدت بيتها بعد كارثة طبيعية في اليمن).

1) حدّد البطل (الشخصية الأساسية).
2) اكتب قائمة بثلاث شخصيات ثانوية يمكن أن تثري القصّة.
3) صف بإيجاز كيف ستساعد كل شخصية على:
   - تعزيز مصداقيّة القصّة.
   - إضافة بعد إنسانيّ أو اجتماعيّ أو نفسيّ جديد.
   - توسيع نطاق السرد.

المزيج المثالي

في القصّة الصحفية الإنسانيّة الناجحة يجب أن تتكامل هذه العناصر الأساسية بشكل مبدع ورصين من أجل بناء سرد واحد يخلق تأثيرًا عاطفيًا عميقًا ومقنعًا لدى القارئ.

ففي القصّة المكتوبة بعناية، نجد عادة هذا المزيج المثالي بين العناصر؛ حيث البطل يمرّ بتحديات تمسّ حياته اليومية، والحدث الذي يحدّد هذه التحديات ويكشف عنها ويعطيها معنى، ثمّ الصراع الذي يظهَر بوضوح كخط متصاعد يوجّه السرد الصحفي، بينما توفّر الشخصيات الثانوية إشارات وأصواتًا من خارج الصراع المباشر، فيسهم هذا في تحسين فهم القارئ للقضية التي تعالجها القصّة.

بهذا التكامل لا تكون القصّة مجرّد نقل خبريّ لواقعة ما، بل تعبير عن تجربة إنسانيّة بأبعادها المختلفة يعيشها القارئ من زوايا متعددة.

2) خطوات نحو إنتاج القصّة الصحفية الإنسانيّة

بعد جمع المادة الأولية (البحث وتحديد السياقات وفهمها وإجراء المقابلات) تبدأ عملية بناء المادة، ويمكن التفكير بها من خلال المراحل البسيطة الآتية:

1) فرز المادة الخام وتنظيمها

يعكف الصحفي في هذه المرحلة على مراجعة الملاحظات البحثية والسياقية والتفريغات الصوتية والتأمل العميق بها، من أجل مساعدته على استخلاص العناصر الأساسية التي سبقت الإشارة إليها أعلاه والتطوير عليها. وهنا:

- راجع الملاحظات ونصوص المقابلات.
- صنّف المعلومات (حقائق أساسية- اقتباسات مؤثرة- أوصاف حسية- معلومات سياقية... إلخ).

• حدّد العناصر التي تُبرز الجانب الإنسانيّ في القصّة وتساعد على بناء الخطّ السرديّ فيها ضمن زاوية المعالجة المحدّدة لديك.

تدريب عملي: اختر مقابلة أجريتها مؤخرا، وحدد الجمل أو المواقف التي يمكنك استخدامها كبداية تمهيدية قويّة لقصتك الصحفية الإنسانيّة.

2) اختيار مدخل مناسب للقصة

تبدأ القصّة الصحفية الإنسانيّة بلحظة مؤثرة أو مشهد بصري حيّ يجذب القارئ إلى القصّة ويدعوه إلى الدخول فيها. قد يختار الكاتب الصحفيّ أحيانًا البدء باقتباس قويّ يلخص جوهر القصّة ويدلّ على فكرتها العامة.

مثال:
قبل أشهر مات سائق التاكسي أبو النسيم وهو على رأس عمله بعدما وصل الستين من العمر. شاهده زملاؤه أمام محل بيع قهوة في شارع الأمير محمد في عمّان ينزل من السيارة ليسرق استراحة قصيرة بعد العصر ويكمل عمله، لكنه أصيب بجلطة دماغية ومات[38].

مثال:
تجلس سحر الطفلة ذات السنوات التسع على مسطبة مكسورة في أحد جوانب المدرسة التي تحوّلت إلى مركز إيواءٍ مكتظّ بالنازحين. تحمل في يدها كُرّاسًا مهترئ الصفحات بلا غلاف، تحاكي الحياة المدرسية على الرغم من أنه لا تأتي أيّ معلمة، ولا جرس سيقرع. «حاولت أمي تعلمني من الأوراق اللي صورناها عن النت، بس كانت مشغولة بدها تولّع الحطب عشان تطبخ،

[38] hعمار الشقيري، حتى آخر نفس: عمال دون تقاعد، مجلّة حبر، 1 مايو/أيار 2025 (تاريخ الدخول: 14 ديسمبر/كانون أول 2025) https://tinyurl.com/5eyxex4e

وما بتعرف تعلّمني كويس.. كمان فش عنا نت دايمًا»، تقول سحر بصوت خافت[39].

3) رسم خطّ سردي متماسك

السرد في القصّة الصحفيّة الإنسانيّة هو الهيكل الجامع لها والذي يعطيها التماسك الموضوعي والشعوري من بدايتها وحتى خاتمتها، وهو العنصر الذي يظهر فيه صوت الكاتب الصحفي الفريد وأسلوبه ومقدار عنايته بالتفاصيل وقدرته على تخيّر المناسب منها لغرض قصّته.

قد يكون السرد في قصتك خطيًّا؛ أي أنه ينطلق من نقطة بداية زمنيّة في سياقٍ سابق للحدث الرئيسي، ثم يتقدّم بترتيب زمني (كرونولوجي) نحو الحدث وصولا إلى النهاية. كما قد يكون غير خطي؛ أي يبدأ من اللحظة الأقوى والأكثر إثارة، ثم يكون الانتقال بشكل دائري بين خلفيّة الحدث وتبعاته.

المهم أن تختار البنية التي تناسب قصتك وتخدم زاوية المعالجة، وتساعد القارئ على الاستمرار في القراءة وفهم النص والتفاعل معه.

4) توزيع العناصر الأساسية داخل النص

فكّر باستمرار بالعناصر الأساسية التي يلزم أن تتوّفر في قصتك، ووظّفها في الموضع المناسب بحسب البناء السرديّ الذي قرّرت الاعتماد عليه.

قدّم البطل أو الشخصية الرئيسية مبكرًا في قصتك ليكون العنصر الناظم فيها؛

---

[39] محمود الشرقاوي، بين القذائف والأقلام: صراع آخر يخضوه طلاب غزة لأجل التعليم، مدى مصر، 2 أغسطس/آب 2025 (تاريخ الدخول: 14 ديسمبر/كانون أول 2025) https://tinyurl.com/mwdnf8mt

ليتمكن القارئ من التماهي أو التعاطف معه. أما الحدث المركزي وتفاصيله فينبغي إبرازها بوضوح كمنعطفات تحدّد التطوّر السرديّ نحو لحظة الصراع، وهو العنصر الذي يجب أن يتطوّر تدريجيًا وبأسلوب ذكي ومتزن؛ ليبقى التوتر قائمًا في بنية القصّة، ويدفع القارئ لمتابعة القراءة.

5) توظيف تقنيات السرد

بات التقاطع معروفًا بين الكتابة القصصية والكتابة الصحفية، وبات الصحفيون يستفيدون حتى من المسلسلات والأفلام في تجديد معالجاتهم الكتابيّة للقصص الصحفية الإنسانيّة التي تساعد على تقدير وتيرة الأحداث وتحديدها، وتعديد وجهات النظر، والحرص على الوصف، والتركيز على العرض بدل الإخبار[40].

اعتنِ بالعناصر السردية التي تقدّم الوصف الموضوعي الحيويّ للسياق والمشاهد، وتضع القارئ في جو النص، لكن تجنّب الوقوع في النثر المنمّق.

6) التحرير والمراجعة

بعد التحقّق من كل المعلومات والاقتباسات، والتفكير بالمقطع الاستهلالي الملائم في بداية القصّة، وتصوّر الخاتمة المناسبة التي تضمن فعاليتها، والتأكّد من امتلاكك للمصادر والمواد الخام الأساسية ذات الصلة بموضوع القصّة، اشرع بعملية الكتابة.

تذكّر أن الكتابة عملية مفتوحة على سيناريوهات عديدة، لعلّ أهمّها هو تطوير وصقل زاوية المعالجة، واكتشاف الفجوات في المعلومات والمصادر، وربما الاهتداء إلى بعض التناقضات في شهادات الشخصيات الأساسية أو الثانوية.

---

[40] رشاد عبد القادر، أدوات كتابة القصّة، معهد الجزيرة للإعلام. ص24-25.

كتابة القصّة الصحفية الإنسانيّة هي عملية ديناميكيّة وحيويّة، يتعلّم من خلالها الصحفيّ حدود معرفته بالموضوع، ومقدار المعلومات المجهّلة التي قد يلزمه الاستمرار في البحث عنها، من أجل ضمان فعّالية قصّته ومصداقيّتها.

في عمليّة التحرير، تذكّر النقاط الآتية:

• تذكّر أن زوايا المعالجة قد تتعدّل قليلًا أو كثيرًا أثناء عمليّة الكتابة.

• رتّب المعطيات والمعلومات والصور والمشاهد التي جمعت خلال مرحلة التحضير وعرضها على نحوٍ منطقي ومتسلسل، فهذا يدعم تدفّق القصّة ويعزّز بناءها السردي.

• استخدم أسلوبًا لغويًا واضحًا يتجنّب الاستعراض. اجعل جملك ومفرداتك تتناسب مع موضوع القصّة وجمهورها المستهدف.

• تحقق من خلو القصّة من الحشو والمبالغات الإنشائية والكليشيهات الباردة.

• تثبّت من دقة المعلومات الواردة في القصّة، ومن احترامها للمعايير الصحفية والمهنية.

• اكتب مادّتك بالتركيز على السرد الإنسانيّ الملتزم بالموضوعية الصحفية.

استعن بقائمة المراجعة الآتية عند الشروع بإعداد قصّتك:

قبل الكتابة

- ☑ هل فرزت المادة الخام التي جمعتها ورتبتها (ملاحظات، معلومات، تسجيلات، وثائق، مراجع، قصص سابقة..)؟
- ☑ هل حدّدت زاوية المعالجة والسؤال المركزي للقصة وراجعتها مع إدارة التحرير؟
- ☑ هل تحقّقت من إمكانات إنجاز القصّة داخل المؤسسة التي تعمل لصالحها؟
- ☑ هل راجعت تفريغ المقابلات وحدّدت المعلومات والاقتباسات الأكثر أهمية لقصتك؟

أثناء الكتابة

- ☑ هل بدأت بمدخل قويّ يشدّ القارئ إلى القصّة؟
- ☑ هل قدّمت البطل بوضوح يجعل القارئ أقدر على فهمه والتفاعل مع قصته؟
- ☑ هل أبرزت الحدث الذي شكّل نقطة التحوّل والصراع في القصّة؟
- ☑ هل تطوّر الصراع تدريجيًا في القصّة بشكل يحافظ على التشويق والتوتّر؟
- ☑ هل استفدت من الشخصيات الثانوية في تدعيم القصّة وتوسيع زوايا السرد فيها؟
- ☑ هل نجحت في وصف المشاهد وعرض التفاصيل السرديّة التي تضفي الحياة على القصّة؟
- ☑ هل دعمت سردك الصحفي بالمعلومات والبيانات الضرورية بشكل يمتزج بسلاسة مع السرد القصصي الإنساني؟

بعد الكتابة

- ☑ هل الخيط السردي واضح ومنضبط في قصتك من البداية إلى النهاية؟
- ☑ هل وثّقت وتحقّقت من المعلومات التي أوردتها في القصّة؟
- ☑ هل أعدت قراءة النص للتحقّق من سلاسته وتماسكه؟
- ☑ هل أزلت التفاصيل الزائدة أو الإنشاءات اللغوية التي لا تخدم هدف القصّة أو تفسد تجربة قراءتها؟
- ☑ هل أضفت خاتمة مناسبة للقصة تترك في ذهن القارئ أثرًا واضحًا؟

اختيار العنوان

اختيار عنوان مناسب للقصة محطة أساسية في إنتاج القصّة الإنسانيّة الصحفية، وقد تكون عنصرا مفصليًا يساهم في نجاح أو فشل القصّة في الوصول إلى المتابعين. في الكثير من غرف الأخبار، يعد اختيار العنوان من مسؤولية المحرر؛ لأن العنوان والعنوان الفرعي جزء من الهوية التحريرية العامة، ويخضع لمعايير تقنية معينة. لا يعني ذلك أن الكاتب لا يمكنه التأثير في اختيار العناوين واقتراحها.

إن دور العنوان هو تقديم لمحة أولية عن القصّة الصحفية للمتابعين وتحفيزهم على قراءتها واستثارة رغبتهم في القراءة أو المشاهدة، ولئن كان من الصعب الجزم - على نحو حاسم - أن ثمة قاعدة ثابتة لاختيار العنوان الصحفي في القصص الصحفية الإنسانيّة فإنه يمكن وضع بعض المعايير التي يمكن الاسترشاد بها:

1) الإيجاز

الإيجاز هو قاعدة ذهبية في صياغة العنوان الصحفي، ولا سيما في القصص الإنسانيّة التي تتعمد شدّ القارئ منذ اللحظة الأولى؛ فالعنوان المقتضب يتيح للمتلقي التقاط المعنى بسرعة وسط سيل من الأخبار المتدفقة في البيئة الرقمية.

لا يعني الايجاز اختزال القصّة إلى كلمات ساكنة بدون حركة، بل ينبغي اختيار الألفاظ الأكثر كثافة وقدرة على نقل المضمون العاطفي والخبري معا. في هذا السياق، يصبح الإيجاز فنًّا يحذف الزائد ويحتفظ بالأساس من دون أن يفقد النص عمقه أو دلالته.

تحظى العناوين القصيرة بانتشار أوسع على المنصات الرقمية وشبكات التواصل الاجتماعي؛ إذ يقاس النجاح بمدى سرعة فهم العنوان ومشاركته. لهذا، يلجأ المحررون إلى صياغات مكثّفة، لكنها محمّلة بنفَس سردي كاف لدفع القارئ إلى متابعة القصّة. إن الإيجاز هنا هو اختصار متعمَّد للمعنى، يحترم وقت القارئ ويضاعف أثر القصّة الإنسانيّة.

2) المزج بين الإخبار والسرد

يخطئ من يظن أن العنوان مجرد ملخص للخبر؛ فالعنوان في القصّة الإنسانيّة هو المدخل السردي الذي يمزج بين المعلومة والجانب القصصي. الجمع بين الإخبار والسرد يمنح العنوان طابعا مزدوجا: فهو يخبر القارئ بما حدث أو يحدث، وفي الوقت ذاته يلمّح إلى الحكاية الإنسانيّة الكامنة وراء الأرقام أو الوقائع. بهذه الطريقة لا يصبح العنوان بطاقة تعريفية فحسب، بل يصبح جزءا من البنية السردية للقصة، يفتح الباب أمام تجربة قراءة أكثر عمقًا.

إن قدرة العنوان على تحقيق هذا التوازن بين الإخبار والسرد تمنحه ميزة مضاعفة: فهو يرضي الحاجة الفطرية إلى المعلومة، ويستجيب في الوقت نفسه لرغبة المتلقي في عيش تجربة إنسانيّة. فعنوان مثل: "طفل ينجو من قارب الموت ويحلم بمدرسة" يقدم خبرا دقيقا ويزرع بذرة حكاية تجذب القارئ لمتابعة تفاصيلها. جمع العنوان بين الإخبار والسرد يؤدي دور "مقدمة مضغوطة" تفتح شهية القارئ وتمنحه وعدًا بالمعنى.

3) الغموض البنّاء

الغموض في صياغة العنوان ليس افتقارا إلى الوضوح، بل أداة بلاغية تستخدم لاستثارة الفضول؛ فالعنوان الغامض بدرجة محسوبة يخلق توتّرًا معرفيًّا لدى القارئ يجعله يتساءل: ما الذي يخفيه النص وراء هذه الكلمات؟ في القصص

الإنسانيّة يشكل الغموض المنتج وسيلة لترك فراغ معنوي لا يُملأ إلا بالقراءة. وهذا يضاعف رغبة المتلقي في اكتشاف الحكاية، شرط ألا يتحوّل الغموض إلى تضليل أو مبالغة تفقد النص مصداقيّته.

المحور الرابع:

أخلاقيات القصّة الصحفية الإنسانية

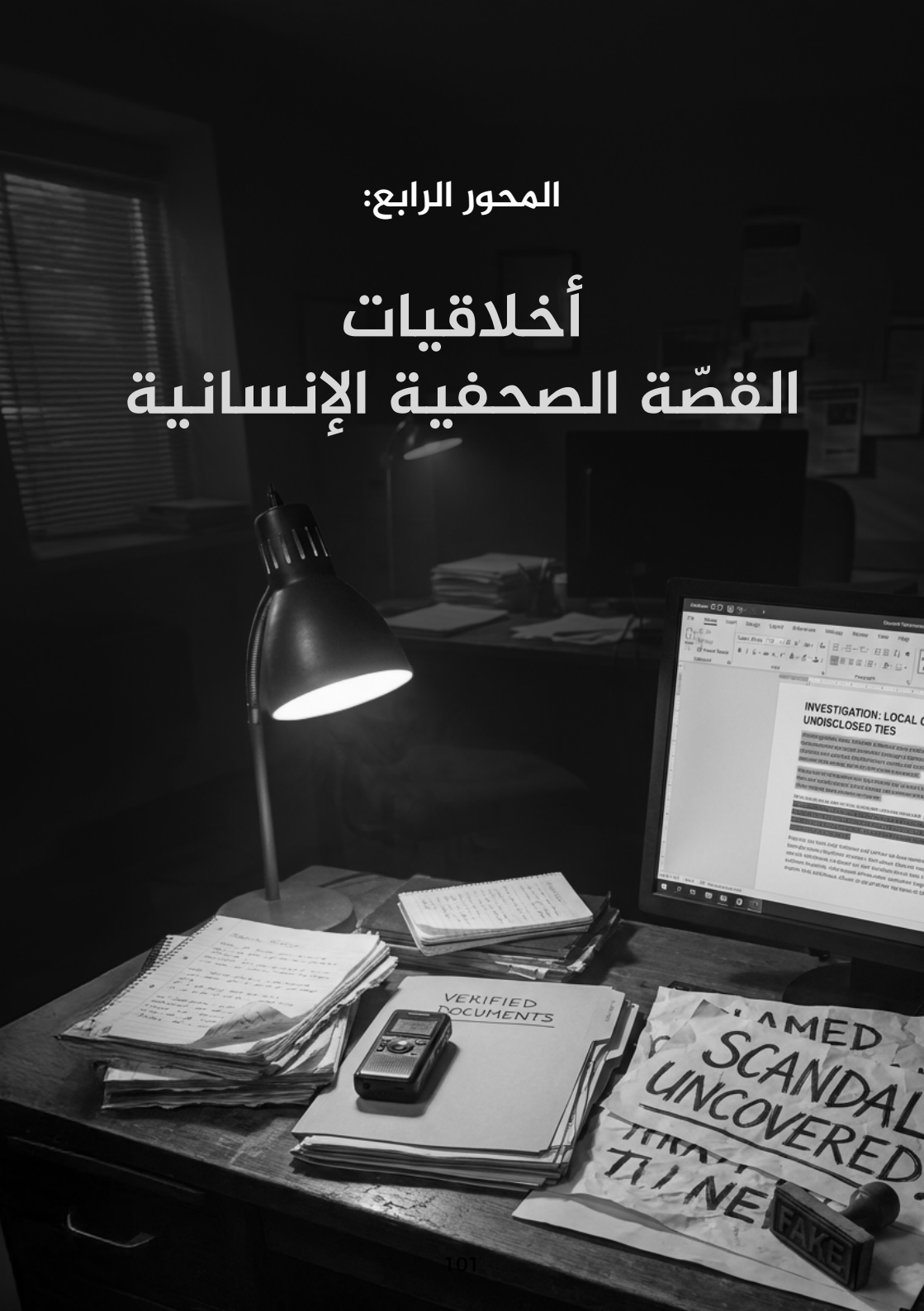

يقول عالم النفس الفرنسي بيير داكو "إن أخطر شيء يمكن التلاعب به لطمس الحقائق هو المشاعر الإنسانيّة". تنطبق هذه المقولة أيضاً على القصّة الصحفية الإنسانيّة؛ حيث يواجه الصحفيون إشكالية تضخيم المشاعر، أو نقل شهادات قد تكون منافية للحقيقة.

حالة مرجعية: الصحفي ستيفن غلاس ومأساة فبركة الشهادات

يمكن العودة إلى حالة الصحفي الأميركي ستيفن غلاس (Stephen Glass) مثالًا لما يمكن أن يؤدي إليه التلاعب بالشهادات في العمل الصحفي، وعدم الدقة في نقل الخبر؛ ففي أحد مقالاته المثيرة في مجلة "ذا نيو ريبابليك" بعنوان "Hack Heaven" سرد غلاس قصة مراهق اخترق أنظمة شركة تكنولوجية كبرى، ثم استدعته الشركة للعمل لديها بعد التوصّل إلى تسوية معه. المقال تضمّن مشاهد درامية، وشهادات تفصيلية من "الهاكر" ووالديه، بالإضافة إلى موظفي الشركة. غير أن تحقيقًا استقصائيًا لاحقًا كشف أن القصّة برمّتها كانت مفبركة، بما في ذلك الشخصيات والشهادات.

أثارت الفضيحة جدلًا واسعًا في الأوساط الإعلامية الأميركية، وأدّت إلى طرد غلاس وفقدان المجلة مصداقيتها لفترة طويلة، فالدقّة وصدق الخبر أهمّ عناصر القصّة الإنسانيّة.

وبعد هذا التحذير، لننتقل للتذكير ببعض الملاحظات التي تعتبر مبادئ أساسية في أخلاقيات العمل الصحفي، وتساعد في ضمان تقديم قصص إنسانيّة

حقيقية وموثوقة، تراعي المعايير الصحفية وأخلاقيات المهنة:

• تحمِل القصص الإنسانيّة عناصر عاطفية قويّة ومشحونة، وإذا كان التركيز عليها في إنجاز القصّة أساسيًّا فإنه ينبغي تجنّب استغلال عواطف بطل القصّة بشكل غير أخلاقي، وعدم محاولة التلاعب بها لـ "أغراض درامية" أو استعمالها لإثارة مشاعر القرّاء وإخفاء الحقائق عنهم، بل ينبغي السعي لإيصالها بشكل صادق وموضوعي يجمع بين نقل التجربة الإنسانيّة التي تحملها القصّة وتوفير معلومات موثوق بها للقارئ.

• تجنّب تحريف الحقائق من خلال الاستغلال غير النزيه لعنصرَي السرد والوصف اللذين يميّزان هذا النوع من القصص، أو الاستعمال المتحيّز للمعطيات والإحصائيات والصور بما يخدم آراء الصحفي الخاصة، أو الخط التحريري للمؤسسة التي يشتغل بها.

• تفادي استدعاء "حالات إنسانيّة" بغية تحقيق نسب متابعة عالية، عبر استغلال ضعفها النفسي أو المادي لتصوير أو إنجاز القصّة (سواء أكان ضعفها إعاقة عقلية أم جسدية أم حالة ذهنية غير طبيعية مثل استغلال أشخاص تحت وقع الصدمة أو مخدّرين... إلخ).

• محاولات إقناع المصادر بإنجاز القصّة الإنسانيّة أمر مقبول، غير أنه يجب احترام مَن أبدوا بوضوح رفضهم نقل تجربتهم دون إلحاح ولا إصرار مزعج.

• على الصحفي أن يشرح بوضوح الغرض والهدف من إنجاز القصّة لبطلها، وأيضاً التأثيرات المحتملة لنشرها، الإيجابية منها والسلبية.

• تجنّب الوقوع في التشهير بأبطال القصّة أو الإساءة إليهم.

"في قصة عن نجاح شاب في صراعه ضد إدمان المخدرات، على الصحفي تسليط الضوء في القصّة على الإرادة والعزيمة الصلبة التي مكنته من إحداث تحوّل جذري في حياته، عوض التركيز على أخطاء الماضي والأضرار التي لحقت بالشخص أو أقاربه خلال مرحلة الإدمان، مع إمكانيّة التطرق إليها دون تفاصيل قد تسيء إلى الشاب أو سمعته".

• في السياق نفسه، ينبغي أيضاً العمل على حماية خصوصيّات أبطال القصّة وتفاصيلهم الشخصية، من خلال تفادي عرض معطيات عن حياتهم الشخصية لا يوجد مسوّغ صحفي يستدعي نشرها، ولا تخدم لا القضية ولا الموضوع المعالَج.

"في قصة عن معاناة شخص مع مرض نادر، مثلاً ينبغي سرد التحديات التي يواجهها هذا المريض مع مرضه فيما يتعلق بالحصول على العلاج والصعوبات الحياتية التي يفرضها عليه، دون إقحام تفاصيل أخرى حميمية وشخصية غير ضرورية ولا فائدة من الإشارة لها؛ كتأثيرات هذا المرض على حياته الجنسية وغيرها مثلاً".

• تجنّب التنميط والتعميم وتعزيز الصور النمطية والأحكام المسبقة، وخاصة التمييزية، بخصوص فئة من فئات المجتمع.

"في قصة عن شخص كان ضحية خطأ طبي، ينبغي عدم ذكر أو عدم الإشارة إلى المقطع الذي قد يتحدث فيه المستجوب مثلاً عن أن كل الأطباء الجرّاحين أشرار أو غير أكفاء".

• تفادي نقل قصص إنسانيّة يسيء فيها المستجوب لطرف أو أطراف أخرى، أو تدعو إلى العنف أو تساهم في نشر خطاب الكراهية.

"في قصة شخص تعرّض لموقف عنصريّ ببلد أوروبي، لا ينبغي مثلاً نقل الجانب الذي يدعو فيه إلى عنصرية مضادّة تجاه الأوروبيين أو تجاه أشخاص من ديانات مختلفة".

• التمييز بوضوح بين الواقع، والآراء الخاصة بالصحفي أو انطباعات المستجوب.

"أثناء تغطية قضية اجتماعية أو سياسية مثيرة للجدل، على الصحفي العمل على توثيق الأحداث وجمع الحقائق المتعلقة بها، والوضوح في تمييز الواقع عن مواقفه الشخصية أو آراء المستجوبين. وخلال إعداد القصّة على الصحفي تقديم الوقائع والأحداث بشكل موضوعي ومحايد، مع تجنب إدراج أي تعليقات أو أفكار خاصة".

• محاولة طرح القصّة من زوايا مختلفة عبر تقديم آراء متعددة تساعد في إبراز صورة شاملة ومتوازنة وفهم أكبر للموضوع، خاصةً خلفيات القصّة ومتغيراتها.

"خلال إعداد قصّة بشأن التحديات التي تواجه اللاجئين في بلد ما، من المفيد الحصول على معطيات من مصادر رسمية ومنظمات غير حكومية، تسهم في تقديم رؤى مختلفة تعزز فهم المشكلة وتسلط الضوء على الجهود المبذولة لمعالجتها، والاستعانة بها كخلفيات خلال نقل قصة أحد اللاجئين عن الصعوبات الاجتماعية والثقافية التي يواجهونها".

• تجنّب استغلال القصّة الإنسانيّة لخدمة أجندات أو توجّهات سياسية معينة، والسعي لاستعمالها في التأثير على الرأي العام.

"وذلك مثلاً كتركيز بعض المنصات الصحفية على قصص إنسانيّة بعينها خلال أوقات الحملات الانتخابية، واستخدامها لـ "تضخيم" بعض الأحداث أو المشاكل بما يخدم أطراف سياسية معينة في ظل التنافس الانتخابي".

• تجنّب نقل المشاهد والصور المؤذية، واحرص على احترام "كرامة" المستجوبين و"كرامة" أقاربهم الإنسانيّة ، خاصة خلال تغطية مواضيع النزاعات والجرائم والكوارث الطبيعية.

"في تغطية نزاع مسلح تتضمن مشاهد عنف ودمار مؤلمة، ينبغي على الصحفي تفادي تسليط الضوء على تلك المشاهد ونقل صور الضحايا الصادمة التي قد تتسبب في إلحاق المزيد من الأذى بالضحايا وانتهاك كرامتهم. في المقابل يمكن نقل "روايات إنسانيّة" عن تأثيرات الصراع؛ من خلال شهادات ناجين وشهود عيان لتوضيح الظروف الصعبة التي يواجهونها، أو تسليط الضوء على الجهود الإنسانيّة المبذولة لدعمهم".

• التأكّد من صحّة المعلومات ومصادرها قبل نشرها يشكل جانباً أساسياً من العمل الصحفي المهني، وفي إعداد القصص الإنسانيّة ينبغي تدقيق وتمحيص كل المعطيات المنشورة، وتجنُّب نشر معطيات مضلِّلة أو غير دقيقة، سواء أكانت صادرة عن المستجوب أم عن باقي المصادر المعتمدة خلال مختلف مراحل الإنجاز.

• التزم بالحذف والتصويب أو الاعتذار إذا ما ثبت أن القصّة تضمّنت معطيات غير صحيحة أو دقيقة، وعليك أن تضمن حق الرد للجهات التي ترى أن المعلومات المتضمنة في القصّة غير دقيقة.

ملحق:

القصّـــة الصحفية الإنسانيّة في زمن الإبـــادة الجماعية على فلســـطين

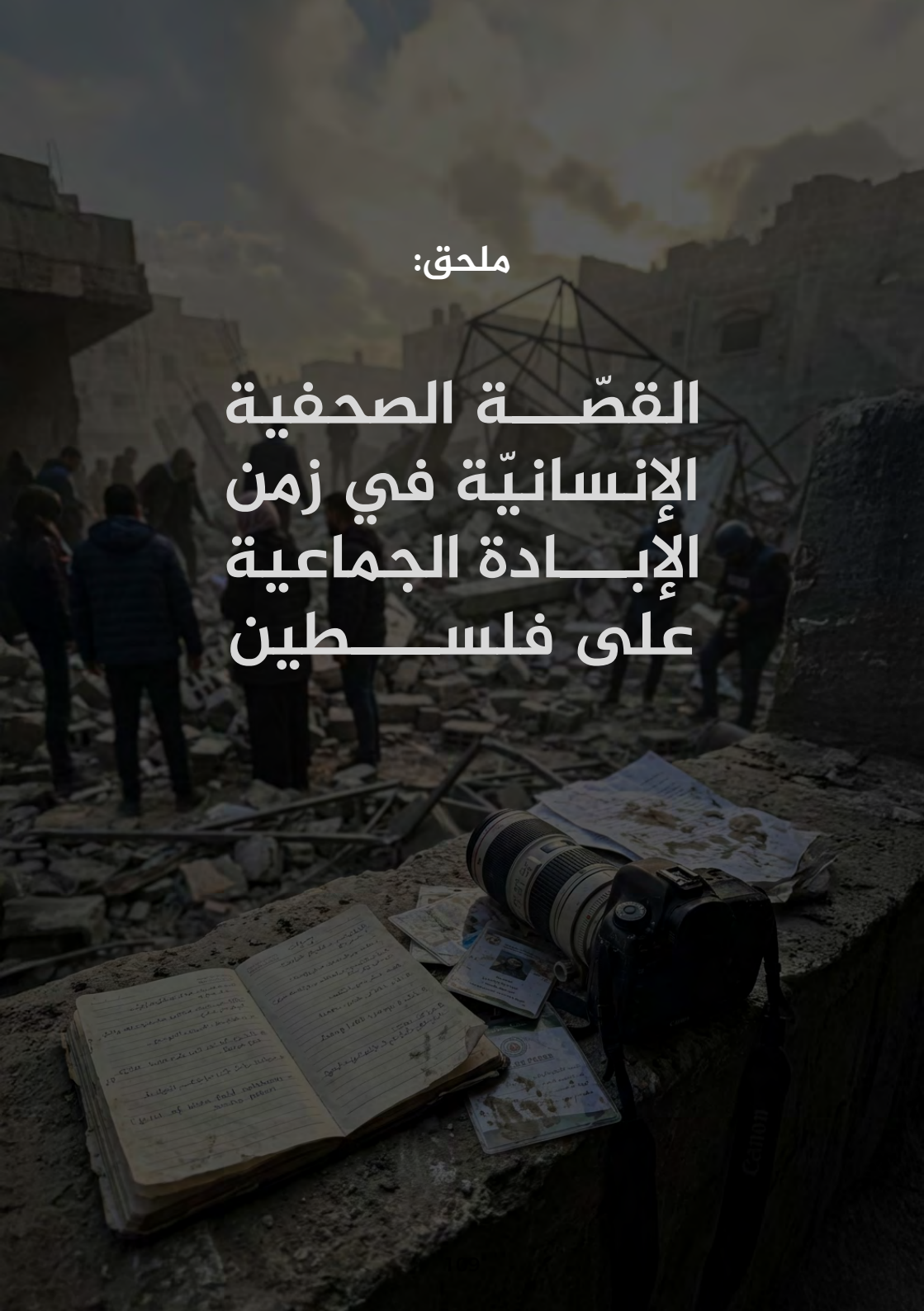

منذ السابع من أكتوبر من العام 2023 وحتى وقت إعداد هذا الدليل، تجاوز عدد الشهداء سبعين ألفا في الحرب التي تشنها دولة الاحتلال الإسرائيلي على فلسطين، من بينهم 256 صحفيًا وصحفيّة على الأقل.

الأرقام في القصص الصحفية مهمة من الزاوية الخبرية لأنها تحيل على حجم القتل الذي يمارسه الاحتلال، وتسمح بالمقارنة مع حروب في مناطق أخرى وحجم التغطية الإعلامية الذي قد يكون خاضعا لازدواجية المعايير. لكن الإشكالية التي تواجه المهنة هي أن تصبح هذه الأرقام مجردة دون خلفية خبرية أو قصة إنسانيّة تسلّط الضوء على فداحة الاحتلال وجرائمه، أو ربّما التورّط في إستراتيجيته في جعل الحربِ برمّتها مسألة "أرقام" وحسب.

في حربٍ موصوفة قانونيًا وحقوقيًا بالإبادة الجماعية، لم تمثّل الصحافة قيمة خبرية آنيّة تكشف عن جرائم قوة قائمة بالاحتلال فقط، بل جزءا من عملية تأريخ هدفها الأساسي هو حفظ الذاكرة ومواجهة السردية الإسرائيلية. " وإذا أضفنا إلى ذلك الحاجة الاجتماعية الدقيقة إلى أن تقدّم الصحافة محتوى لا يقتصر على الإبلاغ عما يحدث فحسب، بل يسهم أيضا في بناء ذاكرة لحدث يتجاوز مجرد التقارير الخبرية من الميدان. عندما نركز فقط على الأحداث الجارية دون استحضار المعنى والأهمية والسياق - وهي صفات الذاكرة نفسها - فإننا نقع في مثل هذه الحاضرية دون أي اعتبار.

أنجزت الباحثة شذى دجاني[41] دراسة على 600 مادة صحفية نُشرت عن وفاة 38 فلسطينيا، موزعة على أكثر المواقع الإخبارية الفلسطينية قراءةً،

---

[41] انظر حول ذلك مادة هشام بوعلي، القصص الإنسانية الصحفية: البحث عن التعاطف والتأثير، مجلة الصحافة، 26 مايو/أيار 2021 (تاريخ الدخول 14 ديسمبر/كانون أول 2025) https://tinyurl.com/mvkubjaa

وأخضعتها لاستمارة تحليل المضمون الكمي. وتبيّن في الدراسة أن الإعلام الفلسطيني يعتمد أكثر على الخبر المجرّد، ثم على الإحصائيات في تغطية أخبار الضحايا؛ حيث وصلت نسبة الأخبار المجردة التي نشرتها المواقع الإخبارية الفلسطينية عنهم 47%، بينما كانت نسبة وجود قصص صحفية مؤنسنة 2% فقط.

فكيف يمكن كتابة قصة صحفية إنسانيّة عن حرب ممتدة دون السقوط في فخ التكرار والابتذال؟ وكيف نحقّق التأثير ونكسر السردية المضلّلة؟

إلى جانب كشف المعاناة الإنسانيّة للإنسان الفلسطيني مع الاحتلال، فإنّ الغرض الأساسي من القصّة الصحفية الإنسانيّة هو تأطير القضية ضمن سياقها السياسي والثقافي والاجتماعي والتاريخي بحثا عن التأثير.

لذلك نقترح هذه التوصيات من أجل قصة صحفية إنسانيّة حول فلسطين:

• السياق أو تأطير القصّة

- حاول التواصل مع الأفراد الذين يعيشون في المنطقة المتأثرة لفهم قصصهم، ويجب استحضار أن سبب المأساة الإنسانيّة قبل كل شيء هو واقع الاحتلال، وأن إسرائيل تمارس القتل والحصار والتجويع وتبني المستوطنات.

- سردت الكثير من وسائل الإعلام الغربية خلال حرب الإبادة الجماعية على فلسطين قصصا[42] لفلسطينيين مع الجوع وانعدام التطبيب ودمار

[42] https://www.instagram.com/p/DGq4A4HNdxw/?img_index=1&igsh=MTRvcHBxMzhod2V2OQ%3D%3D انظر هذه القصّة على سبيل المثال

المستشفيات ونقلت يوميات الفلسطينيين في رمضان وفي الأعياد. كانت قصصًا رائعة مكتوبة بطريقة سردية جميلة لكنها كانت - في الغالب - معقمة من السياق الأساسي المتمثل في الاحتلال الإسرائيلي المدان بالقانون الدولي، بل ويكشف هذا النمط من التغطية[43] كما رصدته مجلة الصحافة بأن بعض وسائل الإعلام تحاول تحقيق توازن مصطنع يغطي على انحيازها ومنحها شرعية لجرائم الاحتلال، ويمكن الاستشهاد هنا بقصة نيويورك تايمز التي زعمت أن مقاتلي حماس ارتكبوا جرائم جنسية يوم السابع من أكتوبر 2023، ليتبناه السياسيون الأمريكيون ومنهم الرئيس السابق جوزيف بايدن.

- الغرض من القصّة الإنسانيّة ليس كشف معاناة الضحايا فقط، بل كشف المتسبّبين فيها، ولن تتحقق هذه الممارسة الصحفية إلا بفهم جذور حرب الإبادة الجماعية وتوفير السياقات التاريخية والثقافية حتى ولو تعلّق الأمر بقصة إنسانيّة: كيف وصلت الحرب عند هذه النقطة؟ ماهي المأساة التي سببتها؟

- لا تنجر إلى القصص السريعة التي تربط في بعض الأحيان - ولو دون قصد - سياق الحرب بتاريخ محدد (مثل هجوم السابع من أكتوبر)، ولا تكتب تحت سقف ما قاله الأمين العام المتحدة الذي يمثل رمز القانون الدولي الإنساني: ما حدث يوم 7 أكتوبر لم يأت من فراغ. وينبغي على الصحفيين عند إنجاز القصص الصحفية الإنسانيّة التذكير الدائم بهذا السياق.

---

[43] نظر على سبيل المثال رصدا على موقع مجلة الصحافة lhttps://institute.aljazeera.net/ar/ajr/article/2412 بعنوان:
هل يخدم "التوازن المصطنع" لبعض وسائل الإعلام الغربية السردية الإسرائيلية؟

• اختيار الموضوع

ينبغي أن تحدد قضية تنطوي على تأثير إنساني. في قصة نجوان سمري (التي انتشرت على نحو كبير) حول النكبة الفلسطينية، لجأت[44] الصحفية إلى شخصنة التجربة الفردية كاستعارة لمحنة بصيغة الجمع: عائلة فلسطينية تقف أمام باب بيتها الذي هُجرت منه، يسكنه محتلون. هكذا تنقلب المعاني، فيصبح المحتل صاحب البيت، والمهجَّر زائرا. مثل هذه القصص قادرة على إحداث تأثير كبير خاصة لدى الجيل الجديد الذي يفصله زمن طويل عن النكبة الفلسطينية.

تقريبا، كل المعلومات عن الاحتلال والنكبة متوفرة، وهناك العشرات من البرامج والوثائقيات التي تشرح ما جرى بالتفصيل، لكن طريقة عرض القصص ما تزال مؤثرة إلى اليوم. نجوان سمري صحفية فلسطينية، وفوق ذلك لديها تجربة طويلة في تغطية القضية الفلسطينية من الميدان. احتكّت بالأطفال، والنساء، والشباب، والشيوخ. بمعنى آخر، كانت تعلم مسبقا طبيعة العواطف التي تريد نقلها إلى الجمهور، وتعرف جيدا نوعية الجمهور المستهدف.

"يتطلب إعداد تقارير حول قصص الفلسطينيين الكبار في السن الذين هُجّروا عام 1948 ويعودون لرؤية بيوتهم التي يسكنها الاحتلال تعاملًا مهنيًا وأخلاقيًا عالي الحساسية، يراعي خصوصية التجربة واحترام الإنسان وذاكرته، ويستند إلى وعي سياسي وإنساني متوازن. فهؤلاء ليسوا "مواد إعلامية" بل شهود أحياء على جريمة تاريخية مستمرة، يحملون في ذاكرتهم ألم الفقد والتهجير من البيوت والقرى التي اقتُلعت جذورهم منها بالقوة. وقد يكون التصوير معهم في هذه الأماكن مفجعًا لدى البعض، وهو ما يستوجب من الصحفي احترام رغبتهم في الامتناع عن العودة، أو عن التصوير في مواقع مؤذية شعوريًا لهم. يجب التعامل معهم بصفتهم أشخاصا فاعلين لا مجرد ضحايا نُظهرهم

[44] https://www.youtube.com/watch?v=9TG-3FqC-TY 15 ماي 2020

بمظهر الباكين المنكسرين. هم رواة لذاكرة جمعية ومؤرخون بالفطرة، لذلك ركزتُ أثناء التصوير على التفاصيل الإنسانيّة الصغيرة التي أظهرتهم وهم يستعيدون أسماء الجيران، وتفاصيل البيوت، وملامح الحياة قبل النكبة. إلى جانب ذلك يجب مراعاة خصوصياتهم الصحية والنفسية، خاصة في ظروف استثنائية مثل جائحة كورونا (صور الفيديو خلال مرحلة كورونا)؛ حيث ينبغي تجنّب زيارتهم في البيوت أو تعريضهم لأي خطر. الصحفي الواعي هو من يقترب من وجع الناس لا ليستغله، بل ليوثّقه بإحساس مسؤول، ولينقل للعالم صورة الفلسطيني الذي ما زال حيًّا، صامدًا، يتذكّر، ويطالب"[45].

في بعض الأحيان، قد يكون اختيار الموضوع الإنساني نابعًا من تجربة الصحفي نفسه، كما في هذه القصّة[46] للزميلة بيسان عودة التي وثقت فيها "عودة الفلسطينيين إلى رفح" بعد رحلة النزوح. ترصد القصّة الإنسانيّة تجربة إنسانيّة كانت فيها الصحفية شاهدة على حجم الدمار الذي لحق برفح، مسندة قصتها بشهادات لنازحين ونازحات لم يتعرفوا على معالم المدينة. تحكي الصحفية قصة نزوحها بصفتها تجربة فردية خاصة لكنها تجربة بصيغة الجمع حضرت فيها النساء على وجه التحديد. نجد في القصّة مزيجا بين الصور الصادمة وأثر الحرب على العمران، وصوت الصحفية/ النازحة والشهادات المؤرخة لفعل النزوح بسبب الحرب.

- **التركيز على الإنسان**

اختر الشخصيات التي تجسّد الموقف. قم بتسليط الضوء على قصصهم الشخصية لجعل السرد أكثر سهولة وعاطفية. إن إضفاء الطابع الإنساني على

---

[45] حوار مع مجلة الصحافة https://www.facebook.com/watch/live/?ref=watch_permalink&v=24187 5546918227&rdid=q1GpDwK9AwH85oZi

[46] https://www.youtube.com/watch?v=Z0FV1SPHoUQ

آثار الحرب من خلال التجارب الفردية يساعد على ربط القرّاء بواقع الإبادة الجماعية. في هذه القصّة[47] للزميلة مرام حميد الصحفية بالموقع الإلكتروني للجزيرة الإنجليزية بعنوان "قابلة في غزة" تستخدم ما يسمى في القصّة الإنسانيّة بالتشخيص للإضاءة على تجربة خاصة جدّا لقابلة تعمل أثناء الحرب الموسومة بالقتل. تتضمن القصّة نوعا من التناقض أو التضاد: قابلة تساعد النساء على توليد أطفال جدد في سياق الموت والإبادة.

تكتب مرام على لسان القابلة "الصحة النفسية للأم الحامل أمر بالغ الأهمية. نحاول تقديم بعض الدعم. نحتضنها أو نتحدث إليها، ونحاول مواساتها وطمأنتها. ولكن كان هناك العديد من الحالات التي لم يكن من الممكن فيها دائمًا القيام بذلك، وخاصة في الأشهر الأولى. تذكّرت نور امرأةً داهمها المخاض يوم مقتل زوجها. من شدة الصدمة بكت بكاءً شديدًا طوال الولادة وهي تستقبل حياة جديدةً في عالمٍ قُتل فيه والد طفلها للتوّ، لقد كان الوضع صعبًا للغاية، وكنا في حيرة من أمرنا كيف نواسيها. تذكرت نور - مضيفة - أن المرأة كانت ترتجف بشكل لا يمكن السيطرة عليه طوال الوقت، غير قادرة على تنظيم مشاعرها[48]".

"حين كتبتُ قصة نور، لم أكن فقط أؤدي عملي بصفتي صحفية تعمل في الميدان، بل كنت أدوِّن بدافع إنساني عميق. في قلب الحرب، حيث الموت يحيط بكل شيء، كانت هناك نساء يلدن تحت القصف، في ممرات المستشفيات أو على أرض خيمة. كان ذلك مؤلمًا بشكل لا يوصف. شعرت أن من واجبي أن أوثّق قصص هذه الولادات الخارقة في ظروف غير إنسانيّة مع قابلة ذات خبرة، وأن أروي للعالم كيف تصرّ النساء في غزة على جلب الحياة رغم أن كل

[47] https://www.aljazeera.com/features/longform/202411/9//a-midwife-in-gaza-bringing-life-to-the-world-during-israels-war

[48] من مقابلة خاصة أجراها معدّا الدليل مع الزميلة مرام حميد

شيء من حولهن ينذر بالموت. فكانت نور القابلة الشابة التي أصرت على عدم مغادرة المستشفى في سبيل تقديم الخدمة. لقد كتبت هذه القصّة بعيون أم، وبقلب شاهِد على لحظة ولادة تقاوم الإبادة.

كنت أستمع لقصص النساء اللواتي ولدن في الظلام، بلا ماء، بلا تعقيم، تحت أصوات الانفجارات. شعرت أحيانًا أن الحياة تُنتزع بالقوة من بين الركام، وأن كلّ ولادة كانت معجزة وسط هذه الظروف. أردت أن أوثق هذا الألم وهذا النور؛ لأقول للعالم إن النساء في غزة لا ينجبن فقط أطفالًا، بل يولّدن الأمل في أكثر بقاع الأرض قسوة".[49]

• شهادات قوية

وفر شهادات مباشرة وعاطفية من الأشخاص المتضرّرين من حرب الإبادة الجماعية. وحاول استخدام الاقتباسات التي تسلّط الضوء على التجارب والعواطف الشخصية، فهذا يخلق التعاطف لدى القرّاء. في هذه القصّة[62] في موقع الجزيرة نت بعنوان "رحلة عذاب من غزة لسجون الاحتلال.. مأساة أسير فلسطيني بين القهر والتعذيب" يحكي السجين السابق ماهر قصة اعتقاله وتنقّله بين السجون الإسرائيلية المعروفة بأقسى أنواع التعذيب وهي سدي إتمان وعوفر. تكمن قوة الشهادة في وصف طرق التعذيب المتمثلة في الضرب والتنكيل والإذلال وإطلاق الأغاني العبرية والصعق الكهربائي والحرمان من الأكل ومن الحق في العبادة والاعتقال دون محاكمة.

---

[49] رحلة عذاب من غزة لسجون الاحتلال، مأساة أسير فلسطيني بين القهر والتعذيب، الجزيرة: https://tinyurl.com/4efjz4fh (تاريخ الدخول: 14 ديسمبر/كانون أول، 2025)

توثيق جرائم الحرب

يتجاوز تأثير القصص الصحفية الإنسانيّة اللحظة الآنية إلى تأسيس عناصر لملاحقة الجناة في المستقبل، ومن الضروري على الصحفيين العمل بشكل واعٍ لحفظ هذه القصص لتكون جزءًا من أدلة الإدانة. تمثّل هذه الشهادات - بالإضافة إلى كونها وثيقة تاريخية تكشف عن جرائم الاحتلال - أدلةً دامغة قد تستخدم في المحاكم الدولية لملاحقة الجناة والمسؤولين عن المأساة الإنسانيّة.

في السابع من شهر أغسطس/آب 1992، تمكّن الصحفي البريطاني بصحيفة الغارديان إيد فوليامي Ed Vulliamy بمعية صحفيين آخرين من الدخول إلى معتقل "أومارسكا" بالبوسنة[50]، وكانوا في طليعة الصحفيين الذين كشفوا ما يجري من تعذيب وتجويع واغتصاب وقتل داخل المعتقل المقام خلال مجزرة "بريدور" الفظيعة.

تبدأ قصة "عار في معتقل أومارسكا"[51] على النحو التالي:

"لا أريد أن أكذب، ولكنني لا أستطيع أن أقول الحقيقة"، يقول الشاب النحيل ذو العينين الغائرتين، وهو يهاجم حساء الفاصولياء مثل كلب جائع، ويداه النحيلتان ترتجفان.

كانت هذه لحظة الغداء في معسكر أومارسكا أو "مركز التحقيق" الذي تديره الشرطة البوسنية الصربية للأسرى المسلمين، بالقرب من بريدور في شمال شرق البوسنة.

---

[50] https://www.youtube.com/watch?v=WixrEMS9pncBosnia 1992 : The Omarska Camp : Al Jazeera World https://tinyurl.com/3jtvjhtm

[51] Ed Vulliamy, Shame of Camp Omarska, The Guardian, Aug 7, 1992 (Accessed Dec 14, 2025) https://www.theguardian.com/world/1992/aug/07/warcrimes.edvulliamy

إن المعتقلين نحيفون بشكل فظيع، عظامهم نيئة وبعضهم أشبه بالجثث، وجلدهم مثل الرقّ مطويّ حول أذرعهم".

هذا نموذج لقصة إنسانيّة استقصائية كشفت فظائع الإبادة الجماعية التي ارتُكبت في البوسنة، لكن ما يهمنا هنا أن هذه القصّة تحوّلت إلى دليل إدانة ضدّ الجناة أثناء إنشاء محكمة يوغوسلافيا. كان فوليامي أول صحفي يوافق على الإدلاء بشهادته أمام محكمة دولية مختصّة بجرائم الحرب منذ محاكمات نورمبروغ في الوقت الذي رفض فيه صحفيون آخرون غطّوا حرب البوسنة القيام بذلك.

• الإضاءة على فعل المقاومة الإنساني

هدف الاحتلال المعلن هو تهجير الفلسطينيين من أرضهم وواجب الصحفي الذي يغطي أن يضيء على قصص مقاومة الإنسان الفلسطيني وأمله في مستقبل أفضل.

في هذه القصّة الإنسانيّة[52] لقناة الجزيرة - التي تُحكى على لسان نازحين في إحدى مدارس الإيواء في مخيم جباليا- تَحضُر أجواء الاحتفال بأجواء رمضان رغم حرب الإبادة الجماعية. ولا نقصد بالإضاءة على فعل المقاومة الإنساني إظهار الفلسطينيين بأنهم شعب مستعد للموت أو يبحث عنه بقدر تمسكه بالحياة وبالأرض ضد مشروع الاحتلال القائم على محو السكّان الأصليين.

---

[52] أصوات من غزة: نازحون في مدارس الإيواء في جباليا يحتفلون برمضان، الجزيرة (تاريخ الدخول: 14 ديسمبر/كانون أول) https://tinyurl.com/2dfmeddr

شهادة يوسف فارس

لم تستهدف حرب الإبادة التي يشنّها الاحتلال الإسرائيلي منذ يوم الثامن من أكتوبر/تشرين الأول 2023 الإنسان فحسب، بل كل ما يمثله وجود الفلسطيني أصلًا. فالإبادة لا تعني الجريمة الصارخة الموصومة بالقتل على اختلاف طرائقه، إنما تغييب القضية ببعدها الحقوقي، وحتى انتزاع ممارسة القتل من السياق التاريخي السياسي الذي ارتُكب فيه، وهو ما يفرض على الصحفيين مسؤوليات مختلفة؛ فالأمم لا تنتهي عندما يموت أو يقتل جميع أفرادها، ولكن عندما تفشل أو تتكاسل في رواية حكايتها على نحوٍ يضمن تخليدها إرثا حيًّا. لذا، وباعتبار العمل الصحفي مسؤولية أخلاقية، فإن تجويد الصحافة ورسالتها على نحو منجزٍ ومؤثّرٍ مسؤوليةٌ أكبرُ وأهمُّ، وهنا تحضر القصّة بوصفها الفعل النقيض للرغبة الإسرائيلية في التغييب.

تعطي القصّة الصحفية لكل ضحية حقها وفرادتها، وهي جواز للسفر لكل العالم في زمن شديد العنف والتزييف والانحراف، تحفظ مظلومية الضحايا منفردين، ولا تختصر الناس والضحايا بلغة الإحصاء والأرقام، إنها الأذن التي تسمع الإنسان الذي خسر مدينته وبيته وأحلامه الشخصية وطموحاته وآماله التي بدّدتها الإبادة. هكذا تعيد القصّة الصحفية الإنسانيّة تسليط الضوء على الحدث المركزي الذي من المفترض أن تدور في فلكه السياسة، وليس الهامش الذي تغسله أستوديوهات التحليل، فكم من طفل تشظّت أطرافه، وكم من مدينة جُرفت، وكم من مخيم يحمل ذاكرة التاريخ واللجوء هُدم، أُلحق هامشاً في عناوين مثل "ضغط تفاوض، مفاوضات صفقة، تضيق فجوات، خلافات داخلية في مجتمع

الاحتلال"! على هذا النحو تصير حرب الإبادة وكلّ ما يعانيه الناس في الواقع وكل الخسارات والمآسي خبراً تابعاً وملحقاً لحديث السياسة. تنجينا القصّة الصحفية الإنسانيّة من مثلبة الذاكرة القصيرة والنسيان الآني، في زمن يستهلك فيه الجمهور كلَّ شيء بسلوك التصفّح السريع، فيمر على الوقائع الكبرى بعد ساعات أو أيام أو أسابيع من انقضائها كأنها حدث عابر، صار وانتهى ولا أثر له على الأرض! هنا، تمثّل القصّة الإنسانيّة جنسا صحفيا يعيد الزمن السريع إلى وتيرته العادية، ويعطي للأحداث حجمها الحقيقي، وفي حالتنا هذه ونحن نعيش تحت سماء الإبادة، فإن القصّة تحفظ قضيتنا وهويتنا وكل ما نمثله من الاندثار.

يوسف فارس، صحفي فلسطيني من قطاع غزّة

خاتمة

تبرز القصّة الصحفية الإنسانيّة خيارًا تحريريًّا يمكن أن يساعد غرف الأخبار في الإضاءة على جانب واسع من التجارب الإنسانيّة لا تقتصر بالضرورة على الضحايا. وفي عالم يضجّ بالحروب والنزاعات وتعقّد الحياة البشرية لابد للصحفي أن "يعثر" على قصة الإنسان أينما كان.

لا يخلو استخدام القصّة الصحفية الإنسانيّة من محاذير أخلاقية؛ حيث وُظِّفت في الكثير من الحروب والنزاعات لإضفاء مسحة رومانسية على الجناة، ومحاولة أنسنتهم على حساب الضحايا الحقيقيين.

إن الهدف الأساسي من هذا الدليل هو توظيف القصّة الصحفية الإنسانيّة لخدمة المبدأ السامي للمهنة المتمثل في المساءلة والمراقبة لا خدمة الجلاد. باختصار إنه قالب أو شكل جديد لسرد القصّص غايتُه الأولى والأخيرة: إيصال صوت الإنسان - خاصةً الضحايا - إلى العالم.

معهد
الجزيرة للإعلام

AJMInstitute

+974 44897666
institute@aljazeera.net
http://institute.aljazeera.net/ar